

غربة مهرب

جمال شاهين

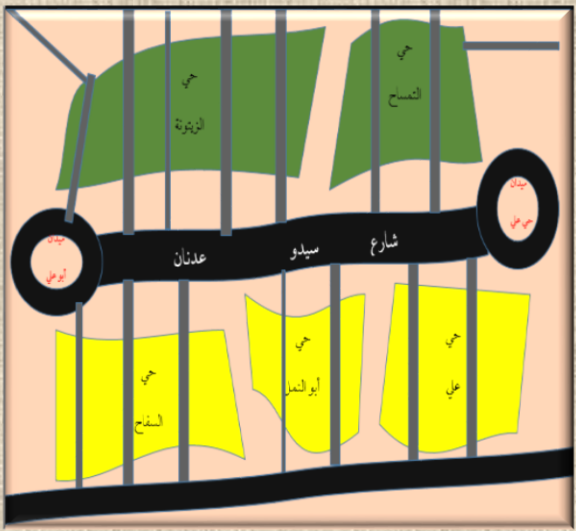
منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

١٧

جمال شاهين

٢٠٢٥



غربة مهرب

٢

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

غربة مهرب

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

٢

مهنتي تهريب وتجارة المخدرات ، شيدت قصرا كبيرا في حي الزيتونة وتزوجت فتاة من فتيات الحي ، ولما حكم علي بالحبس عشرين سنة طلقتها عطفا عليها ، وحين انتهت المحكومية أجبرت زوجها على طلاقها وتزوجتها من جديد ، وجعلت القصر مهرا لها وباعته وأنشأت مجمعا كبيرا من الشقق للبيع والتأجير ، ووضعت في حسابها ملايين الدولارات أثناء علاجي في أوروبا وها أنا أموت بعد شقاء الحياة .. وأتمنى لزوجتي الحية السعادة والخير ... شلبي إسماعيل

جمال ساهين





قصر شلبي

يتفرع شارع أبو رقبة من شارع سيدو عدنان شمالا يمتد طولا لأكثر من كيلو متر ثم يكون على يمينه شارع التمساح ، وفي آخر شارع أبو رقبة كانت تتموضع بعض مزارع تربية البقر والمواشي ، كانت مزرعة بقر تسمى مزرعة عثمان الغمام ، ولما هلكت عجوله وأبقاره نتيجة وباء ضربها باع الأرض وما عليها من صوامع للبقر قيل لتاجر غريب وغامض ، ولم يكن من سكان شارع سيدو عدنان ولا من أحيائه الخمسة المعروفة لكل سكان الشارع ، اسمه شلبي إسماعيل فهدم هذا الشلبي البناء والحظائر كلها وأنشأ فيلا كبيرة وحولها حدائق وأحواض سباحة ، وكانت تجري وتقام في تلك الفيلا حفلات وسهرات مثيرة وغريبة عن سكان



الشارع هكذا كانوا يرونها تلك الفترة من الزمن ، وكانت مستهجنة منهم ، حيث يمتلأ الشارع أو قل حول الفيلا بالسيارات والرجال الأغراب والنساء المثيرات بلباسهن وألوانهن ، وكان صاحب الفيلا شلبي يغيب عن قصره مرات بالأشهر ، ويعود الهدوء بغيابه للشارع من المجون والطرب ، ويقال حينئذ أن صاحب البيت خارج البلاد في صفقة تجارية ؛ فهو تاجر كبير يبحث عن صفقات كبيرة .. ثم عرف الناس أن الرجل تاجر مخدرات وأن تلك الصفقات هي إدخال كميات مخدرات للسوق المحلي ، وما حوله من البلدان والمدن الحدودية .

وكان في نفس شارع أبو رقبة بيت من طابق واحد ارضي ، يتكون من غرفتين نوم وغرفة جلوس وحمام ومطبخ يعيش فيه امليحي محرم وزوجته التي اسمها شوهة عماد أم عواد ، وكان هذا الرجل من أصحاب ورفاق شلبي ، يعتقد ذلك بين الجيران ؛ لأنه شوهد اكثر من مرة يدخل الفيلا .. فحسبه الناس من أصدقاء المهرب شلبي .

حين يختفي شلبي من القصر تختفي الحفلات والسهرات فيعرف الجيران في الشارع أن الرجل

خارج المدينة لقضاء امر وفي الغالب لتهريب صفقة ممنوعات في قانون البلاد ، لأن البلاد تمنع دخول المواد التي تصنفها الأمم المتحدة مخدرات ويمنع تداولها ، لأن هناك مخدرات يسمح بإدخالها للبلاد بصفة أدوية وعلاجات ومسكنات طبية .

***

منظمة مكافحة المخدرات تشير إلى عدة جهات دولية ووطنية تعمل على مكافحة المخدرات على المستوى الدولي، هناك مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة ، وهو هيئة تابعة للأمم المتحدة تعمل على مساعدة الدول في مكافحة المخدرات والجريمة والإرهاب والفساد ، بالإضافة إلى ذلك، هناك لجنة الأمم المتحدة للمخدرات وهي الهيئة الرئيسية لصنع السياسات المتعلقة بالمخدرات داخل منظومة الأمم المتحدة .



على المستوى الوطني، توجد هيئات مماثلة في كل دولة، مثل الإدارات أو الأقسام المتخصصة في مكافحة المخدرات ضمن أجهزة الشرطة أو وزارة الداخلية، هذه الهيئات تعمل على تنفيذ القوانين واللوائح المتعلقة بالمخدرات، وتقديم الدعم للمجتمعات المحلية في جهود مكافحة المخدرات

***

ولم يكن لشلبي إسماعيل موعد محدد بالحضور أو السفر ، وأما السيد السائق امليحي محرم فيتوقف عمله مع القصر فترة غياب شلبي ؛ لأن القصر يكون شبه مغلق إلا من زوجة وأبناء شلبي وبعض الخدم والخادمات .

ولم يكن هو الوحيد من سكان الشارع أو أحياء سيدو عدنان الخمسة الكبرى من يتردد على القصر ؛ فكان لشلبي أصدقاء ومعارف من رجال الشارع ونسائه ؛ ولكنه الوحيد من سكان شارع أو رقبة من يعاشر شلبي وأعوانه ، وكان هذا الرجل يملك سيارة شحن صغيرة يطلق

عليها بيك آب (بكم في العامية) وكان عمله عليها هو نقل البضائع للتجار والمحلات مقابل بعض المال ، فكان يذهب لسوق الخضار الكبيرة في المدينة وينقل بضاعة لتجار الخضار لمحلاتهم ودكاكينهم واحيانا في فترة المساء بعد الظهر يصطف أمام محلات بيع الإسمنت وأدوات الإعمار لنقلها للورشات والبنايات ، ولما صاحب شلبي استعان به الرجل لنقل كميات من المخدرات لمناطق مختلفة من البلاد مقابل أثمان افضل واعلى من نقل الخضار والإسمنت وغيرهما من البضاعة التي يحتاجها الناس .



وكان امليحي أحيانا كثيرة يجلس في احد مقاهي الزيتونة المطلة على شارع سيدو عدنان الفاصل بين الأحياء الشمالية والجنوبية يتعاطى النارجيلة أو الشيشة كما يسميها البعض ، وقد يلعب الشدة مع بعضهم واذا احتاجه احد لنقل أي شيء يترك المقهى لتوصيل الطلب مما يسمح لبيك آب بحمله كعفش بيت أو نقل جهاز كثلاجة أو تلفزيون أو فراش فكل من احتاج لنقل شيء يمر على مقهى الزيتونة ويختار من أصحاب سيارات النقل ومنهم امليحي محرم ، وكان أكثرها مالا نقل مخدرات شلبي .

قال صاحب المقهى لامليحي وهو يطلب منه مغادرة المقهى : يا عم أبا عواد لو سمحت اخرج العامل يقول انك سكران ومائة مرة قلت لا تشرب وتدخل القهوة ..

فصاح : أنا شربتها الصبح

ـ الصبح العصر راحتك تملأ المحل لما تصحُ تعال وأهلا بك

قال معترضا : يا رجل رائحة التبغ اكثر قوة من رائحة الشراب

قال بصوت عال : رائحة الدخان مسموح بها هنا .. اذهب مع السلامة

قال محذرا : ماشي يا معلم زويد تتشاطر عليّ

ـ هو صاحبك غير موجود حتى يضبك لما يكون معلمك هنا لا نعد نرى زكمك

ابتعد عن الباب وهو يسب ويشتم المعلم زويد مدير المقهى ، والتفت زويد لرجل يراقبهما : لا يسمع الكلام يا عمي .. أنا ما بحب قعدة السكارى في المقهى .. يتشاجرون على اتفه الأشياء ويكسرون أشياء المقهى بحجة الطوشة وادفع يا زويد وعوض الخسائر .. يقول لك لست أنا المتسبب

قال الرجل المتابع : معك حق يا أبا لؤي .. الحزم مع السكارى جيد !

عاد زويد للجلوس على منصة المقهى وانصرف الرجل للجلوس مكانه ويقول لرفيقه : خشيت أن يمد يده على المعلم زويد .. هذا السكران كثير النزاعات هنا مع أصحاب السيارات والبيك آبات

قال الرجل الآخر : حضرت منها الكبير .. هل تعلم انه لا يكتفي بالخمور ؛ بل يتعاطى الحشيشة دون حياء .

قال الأول مؤكدا : بل يبيعها ويوزعها لشلبي المهرب

ـ سمعت بعض سكان شارع أبو رقبة يقولون ذلك .. المشكلة عنده أربعة أطفال صغار بعد هناك قلق عليهم أن يتعلموا ذلك العهر .

ـ بل عنده بنت تجاوزت العشر سنين .. عروس كما يقال !

قال الآخر داعيا : الله يصلحه ويتوب عليه

***

عاد امليحي للبيت ذات مساء مبكرا فوجد شقيق زوجته وابنه في ضيافة الأسرة فبعد سلام وترحيب بالضيوف قالت شوهة : عدت مبكرا الليلة !

رد بغضب : الشغل اليوم ضعيف للآخر

قال الشقيق : يا عم امليحي الشغل كثير.. بس من يعرف انك تسكر يخاف أن يركب معك

قالت : والله هذا الصحيح .. صار معروفا بالسكر والتعاطي ، حتى نسوان الشارع تتحدث عن ذلك.. لم يكتف بالخمر والدخان .. صار يحشش ويسرق معلمه شلبيا

قال الشقيق : نصحناك يا امليحي بالبعد عن القصر وسمومه .. اخرتها حتمسكك الشرطة وتوسخ سمعة أولادك لما تحبس ، ولن يتعرف عليك شلبي ولا أبو شلبي

قال مادحا لصاحبه : الأخ شلبي رجل أصيل ولا يتخلى عن رجاله ومعاونيه

قال ابن الشقيق : كلام فاضي يا أبا عواد ! عند الجد كل واحد بحب ينفذ بجلده ولا يهتم بغيره وشلبي صاحبك لن يختلف عن باقي المجرمين يا سيد أبا عواد ..

قال : ماذا تشتغل أنت اليوم ؟

قال أبو فؤاد : ابني موظف بنك يا امليحي

قال مبسوطا : ممتاز ! في مجال لمساعدتي في استلاف قرض من بنكك يا فؤاد!

قال الشاب : في مجال .. بس البنك يحتاج لكفلاء لمنحك قرضا .. ولماذا تحتاج القرض ؟

قالت : يرغب بشراء بيك آب جديد أو واحد اكبر حجما

قال أبو فؤاد : هل توسع شغلك ؟ قبل قليل كنت تشكو من ضعف الشغل معك

قال مبررا : يستطيع المرء تحميل كميات اكثر ولأكثر من محل

***

دخل شلبي القصر وانتشر الخبر في شارع أو رقبة أن صاحب القصر ظهر مجددا كعادة الناس هو الفضول ، وذهب امليحي للقصر ليلا فوجد أن الخبر صحيح وعانق الرجل ودعا له بالسلامة وقال له : بنسلي سيحضر صباحا ليرتب امر التوزيع معك ، وبنسلي من أصدقاء وأعوان شلبي الأوائل منذ أن ترك العمل على الشاحنات بنفسه وهما رفيقا درب ، وهما يعرفان بعضهما من شغل الشاحنات الكبيرة التي تنتقل بين الأقطار والدول ، ولما احترف تجارة التهريب شغل بنسلي معه ، واصبح رجله الأول ومساعده اليمين كما يقال وهو همزة الوصل بينه وبين التجار الصغار ، التقى امليحي في الصباح الباكر برجل شلبي القوي وأرسله إلى مكان معين لنقل شحنة لمدينة أو تاجر معروف لامليحي ، وكان في العادة يحمل امليحي صناديق من الفواكه ثم يذهب بشحنة صغيرة من المواد المخدرة حتى اذا تعرض للانكشاف ألا تكون

الخسارة كبيرة ، وكانت هذه الكمية الصغيرة تخبأ بالسيارة بشكل جيد حتى لا تقع بأيدي الشرطة بسهولة واذا وقعت لتفتيش عرضي أو إخبارية ، ولا يتعرض المهرب أو التاجر إلى عقوبة كبيرة ، وهو منذ اشتغل مع شلبي وبنسلي لم يتعرض للانكشاف ، وأخذت الشرطة فكرة عنه بأنه زبون اكثر منه مروج ، وكل عملية يقوم بها يحصل على بعض المخدر منها خفية ، وحين اكتشفت سرقته من المرسل إليه تبين أنها للاستعمال الشخصي ، فكان يأخذ من بنسلي المخدر كأجرة ، لأنه عشق المخدرات مهما كان نوعها وهو أيضا رجل سكير .

لقد تعرض قصر شلبي لأكثر من مرة لحملات من قبل شرطة مكافحة المخدرات ، ثم يتبين كذب الوشاية فقد كان حريصا ألا يدخلها القصر ، هناك شقق تسمى بيوتا آمنة لتخزينها، وربما تسجل هذه الشقق بأسماء أصدقاء ميتين أو مات أصحابها وظلت ملكيتها بتلك الأسماء حتى يتم بيعها أو تأجيرها .

كان السائق أبو عواد يحمل شحنة واحدة في اليوم ، وقليلا ما يسمحون له بالنقل مرتين ، والخطة أن يقوم صاحب المحل بتفريغ صناديق الفواكه أمام الزبائن ويكون في احدها البضاعة المهربة ، وهذا الزبون هو الذي يذهب لمقابلة بنسلي أو شلبي اذا كان معروفا له ، ويدفع ثمن البضاعة ، أما امليحي فيأخذ ثمن صناديق الفواكه أمام المشترين ، ويكون مبلغا بسيطا لا يلفت الأنظار ، ويقوم بعده أمام أعين المتسوقين ، هذه طريقة توزيع امليحي لحصته من كل تهريبة تدخل مخازن شلبي وبنسلي ، والمبتاعون للمخدرات يعملون في التسويق والترويج .

مرض امليحي هذا مرضا شديدا ، تم إدخاله للمستشفى بناء على إرشاد الطبيب المعالج ومكث يومين تحت العلاج والمراقبة الطبية، وتبين لهم طبيا أن هناك مشاكل في كبده وكليته بسبب الكحول والمخدرات ، وبدأت المعاناة لمدة سنة تقريبا ثم استسلم بدنه للموت لأنه لم يتوقف عن الكحول ولا عن الدحان ولا عن المخدرات التي ادمن عليها .

***

الخمر له العديد من المخاطر الصحية قصيرة وطويلة الأجل ، تشمل المخاطر قصيرة

الأجل :الحوادث، والعنف، وإصابات خطيرة، والتسمم الكحولي أما المخاطر طويلة الأجل فتشمل: أمراض الكبد، وأمراض القلب، والسرطان، ومشاكل الصحة العقلية .

الكحول يؤثر على التنسيق والوظائف العقلية، مما يزيد من خطر السقوط، والحوادث المرورية، والعنف والإصابات الجسدي. . يمكن أن يؤدي الإفراط في شرب الكحول إلى التسمم الكحولي، وهي حالة خطيرة يمكن أن تسبب فقدان الوعي، والغيبوبة، وحتى الموت .

يمكن أن يسبب الكحول أيضًا الغثيان والقيء، وفقدان الذاكرة، والارتباك، ومشاكل في التنفس ومن مخاطره طويلة الأجل أمراض الكبد:وهو أحد الأسباب الرئيسية لأمراض الكبد، بما في ذلك تليف الكبد والتهاب الكبد الكحولي ..أمراض القلب: يمكن أن يؤدي الإفراط في شرب الكحول إلى ارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب التاجية، والسكتة الدماغية .

السرطان: الكحول هو مادة مسرطنة، ويزيد من خطر الإصابة بالعديد من أنواع السرطان، بما في ذلك سرطان الثدي، والكبد، والمريء، والقولون ، ويرتبط الكحول بمشاكل الصحة العقلية، مثل الاكتئاب، والقلق، ومشاكل الذاكرة . . يمكن أن يضعف الكحول جهاز المناعة، مما يزيد من خطر الإصابة بالالتهابات .

يسبب مشاكل الجهاز الهضمي: يمكن أن يؤثر الكحول على الجهاز الهضمي، ويسبب التهاب البنكرياس، والقرحة، ومشاكل في امتصاص العناصر الغذائية . يسبب اضطرابات النوم بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤدي إدمان الكحول إلى: مشاكل أسرية واجتماعية :يمكن أن يؤثر إدمان الكحول سلبًا على العلاقات الأسرية والاجتماعية .. وقد يدفع إلى الانتحار

أما تعاطي المخدرات مهما كانت الأسماء فآثار مضاعفات إدمان المخدرات:أعراض ذهنية مثل: الشعور باللامبالاة، وفقدان الحكم الصحيح على الأشياء ، إصابة جهاز المناعة (مثل: الإصابة بالأمراض الجنسية، والأمراض الفيروسية كالتهاب الكبد الفيروسي)، الاضطرابات الهرمونية (مثل: العقم والتأثير في عملية الإخصاب)، التفكك الأسري ومشكلات الطلاق ، إدمان المخدرات، هو مرض يؤثر على مخ الشخص وسلوكه ويؤدي إلى عدم القدرة على التحكم في

استخدام أي عقار أو دواء مشروع أو غير مشروع ، عندما يكون الشخص مدمنًا، فإنه قد يستمر في تعاطي المخدرات على الرغم من الضرر الذي تسببه له.

يمكن أن يبدأ إدمان المخدرات بالتعاطي التجريبي لمخدر ترفيهي في مواقف اجتماعية معينة، ويصبح الأمر أكثر اعتيادًا لدى بعض الأشخاص مع التكرار

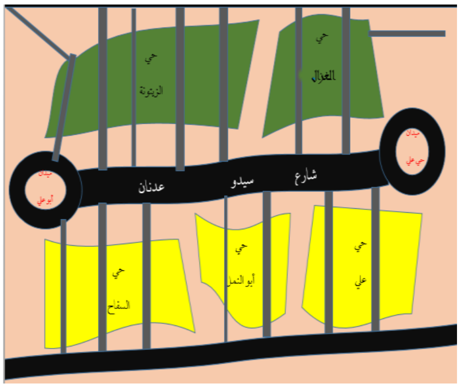
يختلف خطر الإدمان وسرعة تحول الشخص السليم لمدمن على حسب العقار المستخدم ، تتسم بعض العقاقير، مثل المسكنات أفيونية المفعول، بمعدل خطورة أعلى حيث تسبب الإدمان بسرعة أكبر من غيرها . . مع مرور الوقت، قد يحتاج الشخص المدمن إلى جرعات أكبر من العقار ليصل إلى الشعور بالنشوة. .وسرعان ما يحتاج إلى العقار ليشعر فقط بأنه بحالة جيدة.

***

حفلة خروج سجين

بدأت القصة ذات ليلة عندما كان مفيد امليحي الشاب النحيف والطويل ـ وكان معروفا في حي الزيتونة وشارع أبو رقبة خاصة وكل شارع سيدو عدنان عامة بالعنف والشراسة والقوة العضلية وافتعال المشاجرات مع الهواء كما يقال عنه ـ يدخل الحي زائرا لبيت أمه شوهة بيت امليحي ضحية الكحول والمخدرات ، ويرى أثناء عبوره الشارع أضواء الزينة تملأ قصر شلبي والشارع الذي أمام الفيلا فتابع السير وتوقف أمام بوابة القصر في نصف الشارع ، لم يركنها يمينا أو يسارا وسأل بواب القصر ـ وهو يفتح نافذة السائق ـ المعروف لسكان الشارع بالعم فلاح أبو خليل : لماذا كل هذه الزينة والأنوار ؟.. هل من عرس لاحد أبناء شلبي ؟

فقال أبو خليل ضاحكا عن أسنان سوداء وصفراء من كثرة التتن : لأ يا اسطى مفيد .. يقال أن السيد شلبيا صاحب القصر سيخرج من السجن خلال يومين ثلاث .. فأقام العيال هذه الزينة للاحتفال بخروجه كما أوصاهم الوالد .



كرر مفيد ما سمعه وقال : هذه الحفلة ـ وهو يشير بإصبعه للأضواء ـ ستقام لأنه سيخرج من سجن الحكومة !

ـ اجل يا معلم

اقترب منهما شاب مفتول العضل وقوي البنية وقد لمح مفيدا يتكلم مع البواب وقال : ما هناك يا فلاح ؟ ماذا يريد الأفندي مفيد ابن امليحي أختكم وطلقناها !

فقال فلاح : ابن امليحي يا سيد غبشان يسأل عن هذه الأضواء الملونة وأعلام الزينة

نزل مفيد من السيارة وقال لابن شلبي : أنت ابن شلبي نسيت اسمك

ـ آ ، أنا غبشان بن السيد شلبي يا ابن امليحي .. أنا لم انس اسمك

ـ كل هذه الأضواء من اجل أبيك .. أبوك سيخرج من السجن .. هو لم يمت فيه .. سمعت

مرة امك تخبر أمي بموته

ـ أبي طيب كاد أن يموت ؛ ولكنه عاد للعيش .. أمي المسكينة هي التي ماتت قبل أن يخرج من محبسه ، لم تطلب الطلاق مثل أختك وتتخلى عن زوجها في المحن والأزمات

قال مفيد ملوحا بالماضي : أنا ما زلت يا غبشان اعتقد أن دم أبي في رقبة أبيك .. وانه اكره أمي على زواج هند أختي منه غصبا عنها بعد اغتيال أبي

ضحك غبشان وقال مجيبا : أبوك مات من تعاطي المخدرات ..المخدرات هي التي اغتالته لم يغتاله أبي ولا احد من أصحابه، وأبوك احدهم يا مفيد الوحش !

رد مفيد بحنق : من أعطاه المخدرات وسهلها له يا غبشان وعلمه عليها وبيعها

ـ أبوك له عقل وابن سوق ..وهي قصة ماتت زمان ماذا تريد ؟ سنحتفل بخروج أبي كما يحتفل بطلاب الجامعة ، يحتفل بهم بعد سنوات أما أبي فسيتخرج بعد عشرين سنة ؛ فهو احق بأن يحتفل به .. واذا أحببت مشاركتنا فأهلا وسهلا تشرب كأسين ببلاش على حساب الحفلة وسيكون بنات في الحفلة وفرقة الغناء

ـ اذا خرج أبوك من السجن كما تقول ، لا داعي لكل هذه الحفلة يا غبشان أنا لا احب مثل الحفلات في شارع أبي رقبة لأنها تثير الأشجان والحزن وتذكرنا بموت امليحي الغلبان الذي عجز عن البقاء في المستشفى لفقره

شخر غبشان وقال غضبا : لماذا ؟ هو في حد ميت عندكم .. وأبوكم مات من قرون قبل سجن العم شلبي بسنوات

ـ نحن الأخوة لما كبرنا لم ننس ثأرنا يا معلم غبشان ..فأنتم ترقصون على جراحنا وموتنا

قهقه غبشان وقال : كلام فارغ يا مفيد .. أبوك مات وشبع موت

قال متحديا : اسمع .. أنا اذا سمعت طبلا وزمرا لما يشرف زعيم الحشاشين سأعمل شيئا قبيحا وقد ارتكب جرما في حقكم فاختصروا الشر وأزيلوا كل هذه البهرجة .. المسجون يفرح بهكذا حفلة .. هو راجع من معركة .. اعملوا حفلة التخرج في صالة أفراح أو فندق بعيد عنا وعن

ذكرياتنا أو حفلة على السكيت داخل صالة القصر ففيها كفاية

بعد سكوت قليل قال : اسمع يا معلم أنا اعرف انك ازعر وشرير وخريج سجون مثل أبي ولكن لا اسمح لك أن تتحكم بحياتنا وتصدق أننا قتلنا أباك .. منذ عرفنا والدك وهو سكير قبل أن نبني هذه الفيلا ونسكن فيها .. هو الذي رغب بشراء المخدرات وبيعها وتعاطيها حتى هلك ..

قال مفيد غضبا : بلغتك الرسالة

ـ اسمع أنا متحمض عليك من زمان يا مفيد! يا رجل مدير الشرطة لا يستطيع منع هذه الحفلة

ضحك مفيد : يبدو انك لم تنس ضربي لك بسكين صغير .. لقد كبرت السكين

ـ لم انس ولن انسى .. ابعد عن طريقنا حتى لا ترى ما يسوئك

ـ غيروا مكان الحفلة وارقصوا وحششوا بعيدا عن شارعنا

ـ ستتم الحفلة غصبا عنك وعن كل اهلك واهل هذا الشارع .. وسأنظر أنا وفلاح ماذا ستفعل بنا يا مفيد الوحش ؟

***

كان لشلبي الملقب بالثعلب أو الثعلبان بين رجال العالم السفلي والجريمة حين رحل للقصر كان له ولد وبنت دون الخامسة ، ولم يكن له زوجة قيل إنها هربت إلى بيروت حيث عرفها هناك أثناء شغله القديم على الشاحنات الكبيرة بنقل البضاعة بين الأقطار، ومن نتائج هذا العمل تعرف على التهريب ونقل المخدرات ، وعرف حيل نقلها وتهريبها وبيعها وأسعارها ، وعرف السجون والتوقيف والحجز والمحاكم والمحامين والرشوة وبيع الذمم من الشرطة والقضاة والحكام الإداريين وتجار التهريب والمخدرات في أنحاء وبلدان مختلفة فاصبح علما منهم وكيف يتواصل معهم ؟ ويزودهم ويزودونه ، وتعرف على شبكات المخدرات في تركيا وقبرص واليونان وغيرها من الدول حتى اصبح محترفا في التهريب ، ويعمل لديه وجوه جديدة لا تعرفها الجهات الأمنية وكيف يتخلص ممن اصبح اسما وعلما مكشوفا للشرطة وشرطة مكافحة

التهريب؟ ويأتي بأعوان غير معروفين لاستمرار العمل ، وتعرف على فتاة ملهى ليلي بيروتي وتزوجها وعملت معه في نقل الممنوعات ، وولدت له ملاك وولدا سماه سبعا ، ثم اختفت الزوجة من حياته ، ولم يعرف مصيرها هل هي حية أو ميتة بسبب الحرب الأهلية الطويلة في لبنان ؟ وأيضا بسبب حبسه عشرين سنة ، فنسي شلبي لبلبة في صراعه مع شقاء الدنيا ، ولما استقر في القصر قصر شلبي في شارع أبو رقبة حي الزيتونة تزوج امرأة أخرى ولدت قبل حبسه بنتا سماها لبنى وشابين غبشان وشملان ، ولما اقترب خروجه من السجن رتب مع غبشان أن يقيم له حفلة خروج كبيرة ؛ لأنه كان في السجن وكان يمارس نشاطه التهريبي رغم مدة السجن الطويلة ، فهو قد كون عصبة كبيرة ورجالا تعتاش ويعتاشون على التهريب وتجارة المخدرات وكان امليحي احد أفرادها كما سبق الحديث عنه ، فهو سائق سيارة بيك أب كان يستعملها للتهريب والتوزيع وان كان يتظاهر ببيع الخضار من الأسواق الكبيرة إلى الأسواق الصغيرة ، وقد تعلق امليحي هو نفسه بتعاطي الكحول والمخدرات ، وكان جارا مهما بالنسبة لشلبي الثعلبان وقد قضت عليه المخدرات المتنوعة التي تولع بها بعد حين ، وهلك وترك بنتا عمرها ثلاثة عشر عاما ، ولما بلغت خمس عشرة سنة خطبها شلبي من أمها شوهة وتزوجها بزعم أنها وصية امليحي قبل هلاكه ، وترك الرجل عوادا ابن عشر سنوات وخليفة ثمانية ومفيدا ستة أعوام ، ولما اعتقل شلبي وادين بحكم عشرين سنة ، وبعد سنوات اجبر على طلاق هند التي لم تلد منه ، ولم يقبل أخواتها لما كبروا عيشها تنتظر عشرين سنة ، فطلقت وتزوجت قريبا لأبيها ولها حديث في القصة .

لم يعجب غبشان وشملان تهديد مفيد امليحي لهما بإلغاء الحفلة الاحتفالية بخروج أبيهم من السجن على حسب رغبة الأب ، وان لم يحبا ذلك ، ولدلك اصروا على إكمال الحفلة التي ستمتد لثلاث ليال حيث ستختم بخروج الفارس شلبي من سجن الحكومة ، فقد انتهت المدة مدة المحبوسية ، وكان يتهيأ للخروج حسب تعليمات مأمور ورئيس السجن .

حضرت فرقة غنائية حسب ما وضع الشابان الخطة والبرنامج ، ولم يعيرا تهديد مفيد لهما مع

معرفتها بعنف وجسارة مفيدة خلال سنوات عيشهما في نفس الشارع مع أمها بهجت التي توفيت من سنوات قليلة من كثرة الأسقام وانقضاء الأجل ، أما سبع الكبير واخته فلما تزوجت البنت الشقيقة له ملاك شلبي ، سافر للدراسة خارج البلاد ، ولم يرجع ؛ ولكنه عاش على تواصل مع زوجة أبيه وأخوته لفترة ثم قطع الاتصال ، لأنها هي التي اعتنت بهم مع أولادها الثلاث حتى شبا

أثناء ليلة السهرة القيت على الحفلة قنابل بنزين فتسبت بحريق للساحة والأعلام وانقطاع الكهرباء عن الفيلا وإثارة الرعب في الحاضرين للطرب والسكر ، وحضرت الشرطة والمطافئ ولم تكن الأضرار كبيرة ، واتهم مفيد بالاعتداء على الناس ، وتبين للشرطة أن مفيدا كان بعيدا عن مكان الحفل ، ولم يكن في المنطقة تلك الليلة كما ثبت للبوليس ، ولم تقبل الشرطة الادعاء بأن له عصابة تعمل معه ، فلم يسبق أن سجلت عليه دائرة الأمن الجنائي زعامة عصابة .

والحقيقة انه هو كلف اثنين من معارفه الزعران بإلقاء زجاجات البنزين الحارقة وإفساد الحفلة والاختفاء، وقد نجحوا بذلك ، ونجوا من تبعات الحدث ، في الليلة الثانية اعتذرت الفرقة الغنائية عن إقامة السهرة ، فتعاون وتعاقد الأخوان مع فرقة أخرى ، واستأجروا مجموعة حراسة لتقوم بالحراسة حول الفيلا ، والشرطة خفية وضعت أفرادا لمراقبة الوضع ؛ ولكن اطلق الرصاص من بعيد على الفيلا مما تسبب بالهلع والفوضى فاضطرت الفرقة وزبائن الحفلة بالانصراف ، وفشلت الحفلة وفشل الحراس بمعرفة من اطلق الرصاص من عدة جهات من بعيد مع اطلاق ألعاب نارية في نفس الوقت للتمويه وكان اطلاق الرصاص في فضاء القصر مما نشر الرعب بين الحاضرين .

***

تقوم إدارة السجن بإجراءات رسمية وروتينية عند انتهاء محكومية سجين بناء على مراسلات بين مؤسسات ممثلة القانون كوازرة العدل وإدارة الشرطة وإدارة السجون والسجن الذي سيخرج منه السجين ، وينقل الخبر لمن يهمه الأمر من أهله اذا احب السجين ذلك ؛ ليكون

احدهم أو بعضهم في انتظار خروجه من بوابة السجن ، واذا لم يحضر احد تؤمن له سيارة أجرة تنقله لعنوان سكنه وإقامته .

خرج شلبي بعد منتصف النهار من السجن بصحبة غبشان وشملان وبنسلي ، واخبر بسعي أولاد امليحي خاصة مفيد بمنع الحفلة ، وروى غبشان لوالده أحداث الليالي السابقة ولبنسلي الذي كان بصحبتهم ، وهو من اهم أعوان وزملاء أبيهم كما علموا ذلك من أبيهم ، وكان يطلب منهم توصيل رسالة شفهية من خلال زيارتهم له ، فشعروا وأدركوا انه رفيق مهم لأبيهم ؛ لانهم كبروا وشبوا وكان والدهم قابعا في السجن ، فعرفوه من خلال مصادفته أثناء زياراتهم لشلبي .

لما علم شلبي بالأحداث بإلقاء قنابل البنزين على المدعوين وحدث إصابات طفيفة بين الضيوف والمحتفلين بقرب خروجه فقال لغبشان : وابن امليحي اللعين لم يكن هو الفاعل !

قال غبشان : تشاجرنا عند بوابة القصر أول الليل في أول ليلة وهدد بإفساد الحفلة لأنها تذكره بمقتل أبيه أو موت أبيه ، فهو يزعم أن له ثأرا عندنا واننا بهذه الحفلة نثير الذكريات

نظر شلبي لبنسلي ضاحكا : أسمعت يا معلم بنسلي ؟ علينا أن نقف عند مطعم "فندق لو " لتناول الغداء .. نحن قتلنا امليحي (ضحك مستهزئا)

فقال شملان : ونحن أو الأصح أنت تزوجت هندا رغما عنهم

فقال : يا للجهل ! لكنهم كانوا أطفالا عند هلاك أبيهم .. أبوها أوصاني بالزواج منها لما تكبر وأنا نفذت وصيته ، ووهبتهم الكثير من المال حينئذ ..كيف العمل يا دكتور بنسلي ؟ ـ كان بنسلي يلقب بالدكتور منذ اشتغل مع شلبي على الشاحنات ، والسبب انه كان كلما مرض زميل أثناء السفر والتنقل بين المدن يصف له الأعشاب المناسبة للعلاج ، فاطلق عليه الدكتور ، ولزمه اللقب لليوم ـ هل كنت تضع رصيدي في الحساب الخاص ؟

القى بنسلي في منفضة السيارة الخاصة بالدخان سيجارته ثم اشعل سيجارة أخرى وقال : العمل كما كنت أخبرك أثناء كل زيارة فهو يمشي بشكل جيد رغم فقدنا الكثير بسبب كثرة

حملات المداهمات المستمرة وقد فقدنا الكثير من الأعوان كما كنت أخبرك .. وكما كنت انقل أن رصيدك يتضخم .

ـ هل وصل لمليون دولار ؟

ـ ربما اكثر عندما تسافر لفينا ستعرفه .. أما رصيدك هنا فلم يزد كثيرا خوفا من الخطر عليك فهذه أعوام يا أبا غبشان

ضحك شلبي وهو يقول : أما السبع فما أخباره يا غبشان ؟

قال غبشان : لا ادري ! منذ خرج للدراسة لم يتصل بنا ولا حتى بأخته ملاك إلا قليلا ثم لم نعد نعرف أخباره انقطع كليا عن الاتصال ..ونحن البنت نزورها قليلا جدا

وصلوا لمطعم فندق لو فنزلوا من سيارة غبشان التي مسجلة باسم أبيه ؛ ولكنه لما أخذ رخصة القيادة عمل لها صيانة واصبح هو قائدها منذ سنوات وكان يقول لأبيه : تحتاج لسيارة جديدة يا عم شلبي

فقال : أنا مستغرب لبقائها لليوم

قال : لا استعملها كثيرا فلي سيارتي الخاصة

ـ سنجدد كل شيء .. الحفلة ستتم الليلة رغم تهديدنا من ابن امليحي

واصر على الاحتفال ولم يرضخ للتهديد كما تبين لبنسلي والأبناء ، واعتقلت الشرطة مفيدا حتى انتهاء الحفل .

وقامت الحفلة التي بدأت قبل منتصف الليل بحضور فرقتين غنائيتين واحدة للغناء والموسيقى العربية ، والثانية للغناء باللغة الفرنسية التي يحبها شلبي ، ونشطت الألعاب النارية في القصر وحوله ممن استأجرهم غبشان للقيام بذلك ،وشربت الخمور بأنواع كثيرة وقدمت الأطعمة من احدى شركات التغذية التي تقدم لمثل هذه الحفلات والتي كان يقام حفلات مثلها قبل سنين السجن .

وقبل انتهاء المجون قامت معركة ، قام بها شباب مجهولون هجموا على أهل الحفلة بالعصي

والسكاكين بعدما اعتدوا على حراس بوابات القصر فالقصر له ثلاث بوابات من ثلاث جهات وسمع صوت اطلاق عيارات نارية ، وهرب رجال الفرق الغنائية وحرس الشركة الأمنية المتعاقد معها ، وأصيب غبشان بطلق ناري من بندقية صيد خرطوشة صيد ، وجرح شلبي بطعنة سكين ، وطوقت الشرطة المكان واعتقلت بعض المهاجمين وبعض المدافعين ونقل الجرحى للمستشفيات ومنهم غبشان وقد تضرر كثيرا من رصاصة بندقية الصيد الخرطوش التي استعملت للقضاء عليه ، ولم يعترف احد بانهم يعملون بأمرة مفيد الوحش أو غيره ، ورغم شراسة المعركة لم يقتل أي فرد لأنه لم يستعمل الرصاص إلا من الخارج وكان في الفضاء وغبشان هو الوحيد الذي تعرض لخرطوشة وانتهى الحفل حفل الخروج بكارثة ، وقامت الشرطة بالتحقيق بالحادث الذي بدأ انه مشاجرة من زعران المدينة ، ولم يعرف من دفع لهم للقيام بإفساد السهرة .

وكانت الشرطة كما قلنا أوقفت مفيد المشتبه به قبل بداية الحفل بطلب من شلبي ومحاميه

***

لم يكن الاعتداء على شلبي كبيرا قبل بزوغ شمس اليوم التالي أعيد للقصر بواسطة الشرطة ، كان المهرب شلبي قلقا على حياة ابنه غبشان ، فلذلك لما حضر شملان من شقته قال له أبوه :



هل ذهبت للمستشفى ؟

قال : فعلت وما زالوا ينظفون كرات أو حبيبات الخرطوش ؛ ولكنه سليم وقد يقضي يومين ثلاث لمعالجة الجروح .. والشرطة لم تعرف لحتى الآن من اطلق الخرطوش عليه ؛ لأن الرصاصة اطلقت بعد انقطاع الإضاءة ولم يعترف احد من المقبوض عليهم انه يملك خرطوشا والتحقيق كما اخبرني القائد مستمر .. وان ليس لمفيد امليحي يد في المعمعة وحتى هؤلاء المهاجمين لا يعرفون من دفع لهم لإقامة المشاجرة والهجوم على الحفل وإفساده .

هز رأسه مرات وهو يقول : سأعرف أنا من دفع لهم وسلحهم بالعصي ، هم لن يعترفوا للشرطة والا فقدوا بقية ما تعاقدوا عليه مع الدافع ؛ ولكنه شخص يعرف ما بيننا وبين أولاد امليحي .. أعداءنا كثر يا شملان

ـ لا ادري ! ضابط المنطقة قال لي سيبقون تحت التحقيق حتى يخرج آخر مصاب؛ ولعلهم يعرفون لمن البندقية وكيف دخلت القصر ؟ وقال : هم من زعران وأوباش الشوارع

قال قلقا : هل كان المقصود غبشان أم أنا ؟ ولماذا رصاصة خرطوش ؟ هل حدثك أخوك عن أعداء له استغلوا المناسبة ؟

ـ لا ، لا نتحدث عن علاقتنا الشخصية .. فغبشان صاحب كأس ونساء

ـ هل غدر أخوك بامرأة ؟

قال شملان بعد تأمل : لست ادري ! كل منا يعيش حياته الخاصة .. وأنا تركت القصر بعد موت أمي وامتلكت شقة واستقل ابنك الكبير بالقصر .. ولم تقم فيه حفلة مثل حفلاتك قبل الحبس .. فكنا نلتقي لأمر خاص بك أو لترتيب زيارة للسجن ..فلذلك لا اعرف الكثير من أصدقاء غبشان ولا اعرف نساءه وان صدف وجئت هنا لا اعرفهم وحتى زوجتيه لم اكن معهن على علاقة ومعرفة شديدة

ـ نعم ، حدثني عن فشله في الزواج ، ثم طلق الزواج للابد واكتفى ببنات الليل والهوى .

ـ اتصلت بملاك ولبنى وأخبرتهن بخروجك من السجن

ـ حسنا فعلت يا حضرة المهندس كيف شغلك ؟!

ـ ما دمت بعيدا عن المخدرات وتجارتها فأنا بخير وسلام

ـ هذا احسن لك ولحياتك ! أنا غرقت فيها ولست عارفا للخروج منها

***

وزار شلبي بيت الأرملة شوهة وتحدث مع عواد الابن الأكبر لامليحي وهو يعمل مديرا لشركة مواد غذائية خاصة به ، وهو شاب متدين منذ بداية شبابه وينتمي لجماعة دينية في البلاد

وشكى له فعل أخيه في حفلة خروجه من السجن فقالت الأرملة ردا على اتهامه : يا شلبي ابني لم يحضر المعركة .

صاح متظاهرا بالغضب : هو الذي تحدى غبشان يا أم عواد أمام الناس ! وطلب منه أن لا يقيم حفلا بمناسبة خروجي من السجن بعد عشرين عاما يا عواد .. كان المفروض في نظرهم أن اخرج في كفن ؛ ولكني عشت رغم سعيهم لقتلي في السجن مرتين ، وهذه هي حياة الجريمة يا سيد عواد وأحببت أن اقهر خصومي بهذا الحفل ، وابنك تعرض لنا ؛ ربما استغل عدوانه بعض الخصوم والمتربصين

قال عواد أبو بسام : يا عم شلبي احتراما لك ولصداقتي لشملان ولصحبة أبي لك ولكونك كنت يوما صهرا لنا الشرطة قالت لأولادك إن مفيدا لم يكن في الحفلة أو مع المهاجمين ليلة حفلة أول ليلة للسهر .. انتم زعمتم أن هؤلاء عصبة مفيد .. وهم يقولون نحن لا نعرف مفيدا .. نصدق من ؟

ـ هو الذي هددنا وحذرنا وهو الذي دفع لهم ؟

ـ هذا يحتاج لإثبات يا أبا سبع

قال وهو يضع كوب الشاي فارغا ومدافعا عن علاقته بأبي عواد قبل ما يزيد عن عشرين عاما : أنا لم اقتل أباكم .. هو كان يشتغل معي كغيره من الناس .. تجارة المخدرات غير تعاطي المخدرات .. أنا تعلمتها أثناء صعودي للسلم وأثناء شغلي على الشاحنات ثم تركتها عند مباشرة الشغل فيها ، واتخذت التجارة فيها حرفة وتركت شغل الشاحنات بعد أن عرفت بعض أسرار ومراكز تصنيعها وتوفيرها .. فالمخدرات اغلبها يصنع بعد الحصول على المواد الخام كغيرها من الصناعات .. فكثير من الأدوية تستخدم مادة المورفين كمادة مسكنة للمرضى وهي كذلك .. تركيا تزرع الخشاش لصناعة الأدوية وكذلك في ايران والباكستان وكثير من دول ، ويزعم أنها تزرع بمراقبة مؤسسات المنظمة الدولية للأمم المتحدة ..فهي كما هو معلوم تكسب المال الكثير وعلى الإنسان أن يدفع الثمن بقضاء فترة في السجون مقابل هذا المال الغزير

مادة الخشخاش المخدرة، المعروفة أيضًا بالأفيون ، هي مادة مستخرجة من نبات الخشخاش المنوم ، يستخدم الأفيون في صناعة مواد أفيونية أخرى، مثل المورفين والهيروين ، وله استخدامات طبية كمخدر ومسكن للألم ، الأفيون مادة مخدرة ، يستخدم لصناعة الهيروين . يتكون ما يقرب من ١٢ في المائة من الأفيون من المورفين القلوي المسكن والذي تتم معالجته كيميائيًا لإنتاج الهيروين والمواد الأفيونية الاصطناعية الأخرى للاستخدام الطبي وتجارة المخدرات غير المشروعة.

الهيروين يحصل عليه من عملية كيميائية ، هو مخدر قوي للجهاز العصبي المركزي ، ويسبب إدمانا جسميا ونفسيا قويا ..يستخدم لأغراض طبية كمخدر للآلام الحادّة أو ضمن برامج التخلص من الإدمان، يوصف كعلاج وذلك بشكل قانوني في بعض المناطق ، ويخضع استخدامه وجرعاته للرقابة ، ويأتي في شكل حبوب أو إبر ، السماح المحدود لاستخدامه يرتبط عادة بجرعات تعطى في مراكز طبية متخصصة وتحت إشراف طبي ، صنع لأول مرة من مادة المورفين عام ١٨٧٤ م من قبل كيميائي إنجليزي ، ولكن لم يعرف مفعوله ، فصنع من جديد عام ١٨٩٨ ، يتراوح الاستخدام العالمي للهيروين ما بين ١٥ مليون إلى ٢١ مليون شخص تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ -٦٤ سنة.

نشرت البي بي سي الإذاعة البريطانية العالمية تقريراً عن معدل الاستخدام العالمي من خلال تقديرات منظمة الأمم المتحدة حيث هناك أكثر من ٥٠ مليون متعاطٍ بشكل دائم للهيروين والكوكايين والمخدرات عموماً ، في العالم الصناعي، تعد الولايات المتحدة أكبر مستهلك للمواد الأفيونية الموصوفة طبيًا في العالم، بذور الخشخاش الممنوعة تُعرف بالخشخاش الأبيض، الذي يُستخرج منه الأفيون المخدر المستخدم في صناعة الهيروين والمورفين، ولا يُسمح بزراعته إلا تحت إشراف الجهات الرسمية ، حيث يُستخدم لأغراض طبية، أما الحشيش فليس مستخرجًا من الخشخاش، بل يتم استخراجه من نبات القنب الهندي، وهو مادة صمغية ذات لون بني تُستخرج من ساق النبات

حوار بين الأسرتين

وتابع شلبي الحديث مع عواد وشوهة قائلا : وأنا لا انكر انني بنيت هذا القصر من مال المخدرات بأنواعها المختلفة .. هذا سوق كبير ومال كثير .. وأنا لما اشتغل أبوك معنا عمل على نقلها بين المدن داخل البلد موزعا لزبائني مقابل مال كأجرة لم تكن أجرته مخدرات ، ثم تبين انه يسرق منها .. وهذا لا يكتشف بسرعة ..كان أول ملتقينا يعمل في نقل الخضار من الأسواق الكبيرة للأسواق الصغيرة مقابل القليل من المال .. هو طلب مني العمل معي بحكم الجيرة والصداقة المزعومة .. أنا لم اعرفه قبل رحيلي إلى هنا إلى قصري هنا .. وكانت شغلته بنقل الخضار والفواكه للتجار الصغار مناسبة لنقل المخدرات ، وكان الرجل مغرما قويا في الكحول يا ابني .. وهو الذي وعدني لما رأى مشاكلي مع زوجتي بهجت أم غبشان أن يزوجني هندا لما تبلغ ١٥ سنة ؛ لذلك لما مات أوفت أمكم بالوعد .

قالت شوهة مدافعة عن نفسها أمام ابنها الكبير أبي بسام محرم : أنت هددتني إن لم انفذ وصية امليحي ستخطفها وتضر أولادي.

صاح متضايقا : اتقي الله يا امرأة .. يا سيد عواد البلد فيها شرطة وحكومة .. أنت يومذاك قلت لابنتك نفذي الوصية يا هند .. الوصية مقدسة .. وأخذت مالا لتنفيذ الوصية

صاحت منكرة : لم آخذ درهما واحدا

ـ لدي شهود يا عواد ! أنا لم اقتل أباكم .. هو الذي كان يأخذ من كل طلبية يقوم بنقلها كمية خلسة ليشربها ويتعاطها حتى ادمن عليها .. ولم يتحمل جسمه وصحته المخدر وكثرة الكحول فمات ـ رحمه الله ـ فأرجوكم أن تبعدوا عن طريقي .. ومن يعمل معنا يعمل بقلبه وعقله ورضاه .. نحن لا نجبره على الشغل معنا .. وابعدوا مفيدا عنا يا سيد عواد .. وأنت كذلك يا أم عواد لا تحرضيه ولا تشجعيه .. فغبشان لليوم يتهم مفيدا بأنه هو الذي تورط في محاولة قتله أو إعاقته .. نحن جيران فلنحافظ على بعضنا ولا ننسى امليحي فقد كان من أصدقاء العمر والقصر .

قالت مبررة : مفيد كان عنده امل ألا تقام الحفلة الشيطانية التي تذكرنا بمأساة امليحي

ـ يا عمي هذا كان قبل عشرين سنة .. أنا لدي عشرات الرجال الذين يعملون معنا ، أنا لم ينقطع عملي وأنا في سجن الحكومة يا سيد عواد .. لا استطيع تركه بعدما فهمت أسراره وأمواله .. هذا دربي ولا استطيع تغييره ، ولست الوحيد في هذا الكون من اشتهر بالتهريب للمخدرات والذهب والأسلحة ، فالتهريب مهنة دولية مهما كانت مادة التهريب ، فهناك من يهرب سيارات وآلات .. وهناك من يهرب البشر للبلدان الغنية

قال عواد : رغم إساءتك الكبيرة لنا يا عم شلبي حسب ما نرى بالتقصير في علاج أبي ـ رحمه الله ـ سأنصح أخي مفيدا الابتعاد عنكم .. وسننسى ثأرنا عندك .. لأننا منذ وعينا نرى دم أبينا ما زال في رقبتك .. وانك غرشت عنه بسرقته المخدر وأنت الذي سمح له بالتعاطي لتسيطر عليه ويصبح مثل الخاتم في يدك وتنفيذ أوامرك .. هو الذي اعترف لهذه الأنثى وهو يموت بانك دمرته وعودته عليها باسم الكيف والمتعة .

ـ يا ولدي .. أبوك عرفته شاربا للخمور قبل أن اعرفه شخصيا

ـ شرب الخمر غير تعاطي الكوكايين والكراك الأمريكي ، لكن علينا أن ننسى العداوة الأبدية فلقد أوذينا كثيرا من غبشان وأصدقائك يا شلبي وما انحرف مفيد إلا بسببكم

قال شلبي : الانحراف يكون من الشخص نفسه .. رغبات موجودة بداخله .. قد يتأثر الإنسان بصاحب وصديق ؛ ولكنه يستيقظ ولا يستمر .. كان باستطاعتي الابتعاد عن تجارة الممنوعات ولكن جنوني وغروري يرفض العودة للصواب والفقر والإفلاس

***

كان مفيد امليحي يملك محلا صغيرا في شارع الناصر في قلب العاصمة ، وكان هذا المكان كمكتب له يستقبل فيه من يتعاقد معهم للعمل معه في التمديدات الكهربائية أو الصحية أو المقاولات الإنشائية الصغيرة كبناء منزل صغير أو إنشاء سياج سلكي لمزرعة أو حظيرة دواب أليفة ، وكان يملك مخزنا كبيرا في احدى الضواحي حيث يخزن به مواد العمل مثل مواسير

التمديدات الصحية وكذلك لفات أسلاك الكهرباء وزوائد الورشات ، ويكون فيه خشب الطوبار وخلاط الإسمنت ، وكان متعاقدا مع حارس ليلي للمنطقة مع غيره ، وكان شبه يومي يمر على المخزن ، والشغل هذا يكون حسب معارفه بالمهندسين والمعارف فترى الشغل ينشط أحيانا ويضعف أحيانا أخرى ، هو اشتغل بيده بمثل هذه المهن في مطلع شبابه ، ثم تفرغ للقيام بكل هذه الأعمال الفنية ، فقد يحتاج مزارع لبناء غرفة أو غرفتين لحارس مزرعة دواجن أو أغنام أو ثمار فمثل هذه المشاريع الصغيرة يستطيع التعهد بقيامها ، وأبناء أخواله يوفرون له مثل هذه الأعمال أو اخويه عواد وخليفة ، لم يكد يفتح مكتبه في شارع الناصر حتى رأى سيارة شقيقه عواد تقف أمام مكتبه فنهض ووقف على باب المكتب ظانا انه قادم بعمل ما فاقترب عواد مصافحا ومسلما ولما جلسا قال : أهلا عواد هل من شيء ؟ قبل المعرفة ماذا تشرب ؟

ـ شاي ثقيل

رفع الهاتف واتصل بمشغل للمشروبات قريب من المكتب وطلب كوبين من الشاي الأسمر الثقيل ، وبينما هما بانتظار الشاي قال مفيد : سمعت من أمي ليلة امس أن المهرب المخرب التقى بك في بيت أمي

ـ صحيح وأنا جئت من اجل ذلك .. كان شملان ابن شلبي رتب معي للقاء الرجل في بيت أمي .

ـ ماذا يريد من مفيد ؟

دخل خادم المطعم بالشاي ووضع أمام كل واحد كوبه واخذ الأجرة وانصرف واخرج مفيد علبة السجائر ؛ لأن هناك عادة عند بعض الناس لا يطيب لهم شرب الشاي إلا مع السيجارة وعواد لا يدخن ديانة فقال مفيد : عن أي صلح يتحدث المخرب ؟

ـ اسمع يا ابن أمي .. غبشان ما زال يتهمك بمحاولة اغتياله .. والرجل المخرب كما تقول بقول أنا لا دخل لي بموت أبيكم .. وأنا لم اعلمه التعاطي .. إنما هو كان يختلس مما ينقله خفية عن شلبي وزبائنه حتى اصبح مدمنا عليها مما اضطر شلبي لتزويده بها بدون مقابل واحيانا يخصم

من أجرة النقل شيئا بسيطا

ضحك مفيد : يعطيه مخدرات بدون مقابل يا عواد .. هل يعقل ذلك ؟!

ـ يا سيدي مقابل وبدون مقابل أبونا ومات ، والرجل نال عقابه بالحبس عشرين سنة متتابعة .. فأنت بمجرد كلمتين مع غبشان اشتبهت بك الشرطة .. والحمد لله انك ليلة اغتيال غبشان أو محاولة اغتياله إن كان هو المقصود كنت معتقلا لدى الشرطة والا للبسوك القضية جهارا نهارا .. فصديقي شملان يعتقد أن المقصد كان قتل والده والله اعلم

قال مفيد : أنا فكرت بذلك .. مخطئ صاحبك شملان .. اطلاق النار على غبشان تهديد وتخويف للمخرب شلبي .. والمطلوب مني على الصبح

ـ المطلوب منا ومنك ومني عدم التحرش بغبشان ورجال القصر ولا فائدة من الحديث عن الثأر والعداوة .. فما بيننا في نظري انتهى من سنوات طويلة فدعهم يصفون بعضهم ويصارعون بعضهم بعضا اسلم لنا ولهم .. هذا الرجل كما سمعنا وقيل حاول خصومه قتله في السجن مرتين كما اخبرنا ابنه شملان .. أين ابنه سبع ؟ اختفى من حياته ، وملاك أخت سبع تزوجت ولم تزره مرة واحدة في السجن كما نقل لي ذلك شملان المهندس ، وهو امتلك شقة ولم يسكن في قصر أبيه بعد موت أمه بهجت ، وحتى لبنى زارته بضع مرات ، وحتى في حفلة الخروج لم تشتركا في الحفلة .. ولا ادري هل هنأتاه على خروجه من محبسه .. فليس متمسك به سوى غبشان وهو بعيد عن تجارة أبيه ؛ لأنه سجن قبل أن يشب أطفاله

قال مفيد : أنا بعيد عنهم ، ولكن تلك الليلة لما رأيت حبال الزينة والإضاءة ظننت أن غبشان سيتزوج من جديد فلما علمت من فلاح سبب الزينة أصابني المغص والقهر وكان فعلي مجرد تخويف وإقلاق .

***

كان من عادة أبناء شوهة منذ تركوا الشارع خليفة ومفيد يمرون على أمهم إما يوميا وإما يوما من بعد آخر ، ما عدا عواد لأنه يجاور امه منذ تزوج في الشارع ، فالمرأة رفضت مفارقة الشارع

منذ سكنت فيه ومنذ ترملت ، فترك لها الأبناء الحرية في البقاء بين جدرانه ، وإن لم يكن فيه ذكريات تسر القلب إلا ولادة الأولاد ، فسيرة امليحي لم تكن طيبة واشتهر بشرب المسكرات وتعاطي المخدرات حتى هلك .

ذات مساء دخلت هند بيت والدتها تبكي مخبرة أن زوجها بحري سيطلقها ؛ لأنه اخبرها أن شلبيا تعرض له وطلب منه طلاقها ليعيدها لذمته ، وأنه توعده بذلك ، ولا يستطيع معاداة شلبي فاتصلت شوهة بالأبناء ليسمعوا القصة من هند نفسها ، واتفق الثلاثة على اللقاء بعد صلاة العشاء لسماع القصة الخطيرة .

قالت هند لإخوتها : زارنا رجل زعم انه رسول من طرف شلبي يهدده بطلاقي .

***

لم يطلب شلبي من بحري زوج هند امليحي الطلاق مباشرة ؛ بل ارسل اليه شخصا اسمه بنسلي وكان الوقت ليلا حتى أن بحري قلق وانزعج من زائر الليل وتشجع وقال : هل احد من أهلي أو اهلك يزورنا في منتصف الليل ؟

هزت رأسها وقالت : لست ادري ! ونهضت لترى الطارق فقال لها الزائر :مرحبا هذا بيت بحري غموسة !

قالت بقلق : نعم من أنت ؟ وماذا تريد ؟

قال : أنا العم بنسلي المكنى بأبي رباب أريد السيد بحريا بكلمتين

ظهر بحري على الباب وأزاح امرأته وفتح الباب قائلا بقلق : أنا بحري ومن أنت ؟

ـ أنا بنسلي رسول من عمك شلبي

فقال : من هو عمي شلبي ؟ لا اعرف أحدا بهذا الاسم ؟

فقال بنسلي : هند امرأتك تعرف من هو شلبي ؟

قالت هند : شلبي يا أبا سليم زوجي السابق .. المهرب في شارع أبو رقبة

قال بحري : آ .. جار دار عمي امليحي

قال بنسلي : اجل هو يا سيد بحري

قالت : ماذا يريد منا ؟ سمعنا أنه طلع من الحبس

قال : نتحدث في الداخل يا معلم بحري

قال بحري متشجعا : تفضل سيد بنسلي . وقاده لغرفة استقبال صغيرة وسمع المرأة تقول : شاي ولّا قهوة

قال : شاي

ذهبت لمطبخ الشقة مسرعة ووضعت الإبريق على طباخ الغاز وعادت مسرعة متلهفة لسماع ما يريده شلبي طليقها من زوجها بعد كل هذا العمر ، قدم بحري سيجارة للزائر وهو يقول : أنا لا اعرف صاحبك المهرب شلبي ، ولم التق به يوما ، ولكني سمعت وعلمت انه زوج امرأتي قبل طلاقها .. ماذا يريد مني ؟

تطلع بنسلي بالمرأة التي تقف على الباب وقد ادرك رغبتها بسماع كل شيء فقال : لما يحضر الشاي اقل لكما رسالة السيد شلبي

فهمت المرأة الرسالة وقالت : الشاي على النار.. ماذا يريد شلبي ؟ لقد علمت انه خرج من السجن من أسابيع .. وعلمت بالمعركة التي جرت يوم خروجه فأمي واخي عواد من سكان الشارع شارع أبو رقبة .

قال بنسلي : أنت أخت مفيد الوحش أيضا

قال بحري : صحيح.. الرجل شقيق امرأتي .. الشاي يا هند

اختفت ثم عادت تحمل صينية شاي وثلاثة أكواب وقدمت لهما الشاي وقالت : ماذا يريد منك شلبي يا بحري ؟

التفت إليها وقال : يخبرني الرجل أن شلبيا يرغب بالزواج منك

صاحت بدهشة : أنا متزوجاك

ـ يريد أن اطلقك

قالت بغضب وهي تحدق ببنسلي : اسمع يا بنسلي انصح سيدك بأنني لا ارغب فيه ولو طلقني بحري ، وأنا أحذرك وأحذره من الاقتراب منا .. أنا لا أريده ولو قطعت قطعا كثيرة .. أنا تزوجني سيدك غصبا عني بحجة أن أبي ـ رحمه الله ـ وعده بالزواج مني ورضخنا للوصية وانتهت الوصية بعد طلاقي

قال بنسلي : إهدئي يا سيدتي أنا رسول وما على الرسول إلا البلاغ المبين

قال بحري وهو يحدق النظر بزوجته : وأنا من الصعب أن اطلق هذه المرأة بعد كل هذه السنوات من العمر

قال بنسلي وهو يضع الكوب فارغا: أنا نفذت أوامر الزعيم وقبل انصرافي أقول لك أنت لست قد أبو السبع شلبي

قالت : هذا تهديد صريح !.. لقد سمعنا ما حدث لغبشان فالفت نظر سيدك لذلك

نهض وقال : قد بلغت الرسالة للسيد بحري

***

بعد انصراف رجل شلبي وقد أغلقت هند باب الشقة وعادت لزوجها الصافن الحزين المرتعب فقال : ما العمل في هذا التهديد يا بنت الناس ؟ هؤلاء عتاة المجرمين وهم لا يخافون أحدا ولا القانون ولا الحكومة

ـ موقف صعب اعلم يا سيد بحري.. وهل ترى أن الطلاق سينجيك منهم ؟ أم هناك موال يلعبونه .. للانتقام من مفيد بعد إصابة غبشان بطلق خرطوش

قال : أنا حيران ماذا سنفعل ؟

ـ هل هو فعلا من رجال المهرب شلبي ؟

ـ هو قال ذلك ولما ذهبت لجلب الشاي قال الزعيم يقول لك طلق هندا وسكت

ـ سأذهب لبيت أمي في شارع سيدو عدنان وانقل لهم تهديد شلبي ليتأكدوا من التهديد ويتكلمون معه في امرنا

ـ متى ستذهبين ؟

ـ من الصباح الباكر .. أنا لم احبه يوما .. كانت أمي ضعيفة ، لم تسطع رفض طلبه بالزواج مني بحجة وصية أبي له .. وكان إخوتي صغارا ..كان عواد ابن عشر سنوات أو اثنا عشر وكان اسم الثعلب شلبي يدب الرعب في كل شوارع وأحياء سيدو عدنان .. وكان أبي عبدا له كغيره من الرجال

ـ هذه ورطة لم اكن احلم بها يوم تزوجتك

صاحت : لا تكن جبانا لهذا الحد

ـ القضية ليست قضية جبان وشجاع

ـ صدق لو يعجز أخوة هند عن توقيفه عند حده .. أنا سأقتله ويصير ما يصير

ـ والله ما ارغب بطلاق ولكني ضعيف

ـ اثبت بضعة أيام وسنرى

ـ من الفجر تحركي لأهلك .. وأنا لن اخرج للعمل حتى تنتهي هذه المحنة التي لا تخطر لي على بال في مثل هذا الزمان

ـ الأشرار في كل زمان ومكان

ـ صحيح الشر لا ينتهي

ـ ويبقى مغلوبا مدى الدهر ولن يخلص الناس من شلبي إلا بموته.. هكذا سمعت مفيدا مرة يقول .. فالأشرار حوله يتجمعون

***

فغضب مفيدا غضبا شديدا لما سمع الحكاية وادعى أنه سيربي شلبيا من جديد فقال عواد :

اهدأ يا ابن أمي .. ما عندك يا أبا أسامة ؟

فقال خليفة : أين نعيش نحن ؟! هل نحن نعيش في مدن الرعب في أمريكا اللاتينية ؟ بنسلي حسب علمي يا عواد هو فعلا من رجال شلبي ؟

قال عواد : قل ذراعه اليمين وقد حبس معه فترة وهو مدير عمليات شلبي كما يخبر شملان

سأقابل المهندس لنتأكد أن التهديد صادر فعلا عن والده

قال مفيد : سأقتحم القصر واضرب كل من فيه

فقال خليفة : التروي والهدوء مطلوب .. ولن يستقبلوك بالورود والأزهار .. المهم بحري زوج هند أن لا يخضع لهم ولمطلبهم

قال مفيد : يا عمي بحري جبان ويخاف من الذبان

قال عواد : لا تتهور .. نعم ، علينا أن نشجع بحريا بعدم الخضوع وألا يخاف منه ومن بنسلي

قال خليفة مفكرا : نحن يا مفيد لن نستطيع منع بحري من الطلاق .. فهو كما خبرته مع احترامي لهند رجل ضعيف يتهرب من حل المشكلات .. كذا مشكلة تابعتها معه فيحب الحل الأسهل .. وأنت بذهابك لشلبي ستجد البواب والخدم وقد تصطدم بغبشان الذي لا امر له في مزاج والده

قال مفيد : سأحذره وأخوفه من الضغط على زوجها

قال عواد : ليست المشكلة في الطلاق.. المشكلة بالزواج منه من العجوز شلبي

قال خليفة : هذه المشكلة .. هل تقبلين يا هند بالعودة للعجوز كما يقول عواد ؟

قالت بحيرة: كأنكم واثقون بأن الطلاق حاصل !

قال خليفة : زوجك لا يقاوم .. فمن سردك عن زيارة بنسلي أن الرجل سيقبل الطلاق ولو كان رافضا لالتقى بنا وما أرسلك وحدك .. وقال لك هؤلاء مجرمون ولا يخافون حكومة فمن اجل ذلك نناقش مسألة عودتك لزوجك الأول

قالت : كانت حياتي عذاب معه

قال عواد : كنت ضرة يا أخية وكان أولاده أطفالا .. نحن نناقش قضية ستحصل حتى لو لم نفترضها .. وقضية الزواج اذا حصل الطلاق ستعود إليك لا يمكن أن نقبل بزواجك من العجوز رغما عنك كما قيل قديما .. وأنت يا أمي لم تعلقي بشيء

ضحكت شوهة وقالت : انتم كأنكم متأكدون من حصول الطلاق ؛ لأنه أرسلها وحدها تناقش الوضع معنا

قال مفيد : عليّ مقابلة الملعون الآن .

وترك البيت وهم يقولون : انتظر للصباح الصباح رباح يا ابن الحلال. ولكنه لم يسمع صراخهم واعتراضهم

***

لما وصل بوابة القصر صرخ على البواب فلاح الذي خرج من كوخه قائلا : مالك هائج يا عم مفيد في هذا الليل ؟

قال بغضب : أين سيدك المخرب ؟

قال : الله سيدي يا ابن امليحي ! اهدأ ماذا تريد في أنصاف الليالي ؟

ـ أريد الملعون شلبيا

ـ غير موجود في القصر من أيام يا عم مفيد

ـ أنت تكذب !

ـ عيب أنا اكبر منك عشرين مرة .. من أولادي من هو اكبر منك .. السيد غير موجود هنا من زمن .. وغبشان لم يرجع من محل سهره

فقال : سأؤذيك إن تبين كذبك

ـ عندي أبناء من سنك وجيلك ؛ لا تعمل عليّ عنترا ، ولن يسمحوا لك بالاعتداء عليّ كما اعتديت على غبشان

ـ أنا اعتديت على غبشان

ـ هو الذي يقول انك من اطلق عليه النار بيد غيرك

اختفى مفيد وعاد للبيت ساخطا وهو يصيح : هرب الجبان .. ترك القصر

قال عواد : شلبي لا ينام كثيرا في قصره .. قلة من يعرفون أين يبات يا مفيد .. قلنا لك الأهم

أن يكون مع اختنا السيد بحري ويرفض التهديد .

قال خليفة : علينا اختصار الشر لا داعي للتهور .. في ردود الفعل والعصبية .. لا تعرض نفسك لعصابة مخدرات يا سيد مفيد

ـ لا ادري كيف تتحملون تهديد المخرب ؟!

ضحك عواد : الرجل لم يهددنا نحن، ولا هدد هندا ، هو هدد زوج هند .. وهو الأولى بالدفاع عن زوجته ونحن نساعده .. هل اذا اعتديت على شلبي ستسلم من غبشان الحاقد عليك أو من أصدقائه ؟.. الأمور تحتاج إلى تروي وفهم

ـ يا ويله لو طلقت هند !

قالت هند : أرجوك يا مفيد حتى لو تخلى عني بحري فلا تهاجم شلبيا .. هو لن يتزوجني اذا طلقت .

***

اختفى شلبي من القصر ولم يستطع احد من أهل هند لقاءه والحديث معه حتى جاءت وثيقة تعلن فيها طلاق بحري لهند مما اغضب الأسرة من جبنه وانتشر خبر الانفصال في شارع أبو رقبة وربما غيره من شوارع فرعية في حي الزيتونة .

قال عواد لمفيد : أرأيت كيف فعل البطل بحري ؟ الرجل ضعيف أمام الأزمات حتى انه طلقها غيابيا من جبنه واختفى ، مشيت أنا وخليفه لبيتهما لتشجيعه فقال جيرانه انهم لم يروه من زمن كأنه سافر .

فقال خليفة : الخيرة والخير بما يقدره الله يا هند .. أنا بفضل أن تعودي للتعليم والدراسة فأنت تستطيعين ذلك

قالت الأم : بعد هذا العمر والسن من الانقطاع عن مقاعد المدرسة .. اللعين شلبي رفض الانتظار حتى إنهائها الشهادة الثانوية .. اجبرها على ترك المدرسة

قال مفيد : لا ادري بأي صفة كان يتحكم بنا تلك الأيام ؟! .. ليس بعم أو خال أو حتى جار

قريب .. رجل من الشارع من سكان الشارع

قالت هند : منذ تركت البيت ادركت أن بحريا لن يقاوم وسيستلم لتهديد المجرم للأسف عرفته جبانا يخاف من النحلة .. وأما أن أعود للدراسة فلا طاقة عندي لذلك ومعي مال في البنك يكفي للعيش مع أمي بكرامة .. فلدي مؤخر طلاقي من شلبي لم يصرف منه الكثير ومؤخري من بحري أيضا لا بأس به ..

قال عواد : سأفكر بعمل استثمار لك .. وعليك بأخذ دورات قصيرة في السكرتاريا والطباعة وستعملين معي في مصنع الغذاء في الإدارة إن رغبت بالعمل .. قبل زواجك من بحري قريب أبيك لعلك تذكرين اشتغلت معي بعض اشهر شهرين أو ثلاث .. ولولا بعد سكنك عنا لأبقيتك عندنا ؛ لكنك يومها فضلت الاستقرار في البيت على امل انجاب طفل أو اكثر .. قالت لي أمك أن العلاجات في ذلك لم تفلح

قالت : قمت بالعديد من المعالجات دون فائدة واعتبرت امرأة عاقرا .. بعد حين افكر فعلا بالعودة للشغل معكم .. تعرفت يومها على فتاة تشتغل معك كأن اسمها منيرة عبد ما أخبارها؟

قال : اعتقد بعد زواجك بفترة هي الأخرى تزوجت ؛ وكأن زوجها رفض أن تبقى في إدارة المصنع .. هكذا مشكلتنا مع الفتيات العاملات عدم الاستقرار إما بالانتقال لشركة أخرى بزيادة بضعة دنانير أو بالزواج .. الجميل أنهن يعملن في قسم الإدارة يسهل التعويض عنهن ببدائل لهن .. أما في خطوط الإنتاج فأوظف دائما الشباب

قال خليفة : وأنا أعاني من هذه المشكلة في الشركة

قال مفيد : نحن لا تعمل معنا فتيات .. مرة عينت فتاة قريبة لزوجتي ثم تعلقت بشاب معنا ورحلت هي وإياه .. إذن لم تقابل بحريا

قال عواد : يبدو أن فر هاربا .. كنت ارغب أن افهم تفاصيل التهديد وكيفية تم الطلاق بدون حضور الزوجة وكيف سنحصل المؤخر ثم تبين أنه وضعه في حساب هند المعروف له.. وقيل لي من بعض أقاربه في المنطقة ربما عاد لزوجته الأولى أم أولاده .. هي أين تسكن يا هند ؟

قالت : لما تزوجنا كانت مطلقة .. عنده منها ولد وبنت فقط، وكان أحيانا يجلبهما اخوه يسري خاصة أيام عطل المدارس للقاء بحري .. لا اعرف أين تسكن ؟ رأيتها مرة أو مرتين في أعراس وقالت لي بعض قريباتنا عنها كانت زوجة زوجك بحري ولم أتكلم معها إلا بالنظر

قال عواد : لا تكرهوا شيئا عسى أن يكون خيرا لنا وله حتى لو أصابه مكروه لن نقول بسببنا

***



اتفاق زواج

مضت الأسابيع وشلبي لا يظهر في القصر واخبر الحارس الجديد للبوابة الخارجية مفيدا أن السيد قد سافر بدون أن يعلن عن وجهة سفره العراق أم سوريا وقيل مصر فعمله يتطلب الترحال لتأمين المخدرات لعصابته وزبائنه من مختلف الطبقات الاجتماعية .

منذ أن اختفى شلبي فكل صباح يأتي مفيد يسأل البواب عنه ويتلقى نفس الإجابة تلك الأسابيع وكذلك لم يتمكن عواد من لقاء بحري ثم نسي أمره والحديث معه

لم يستطع مفيد الوحش معرفة مكان اختباء خصمه شلبي الثعلبان ، فهو شاطر في الاختفاء والتنكر قبل أن يحبس على عدة قضايا في السنوات العشرين ، فهو كما يشاع لا يعرف مكان نومه مثل الزعماء والقادة الكبار

قال عواد لشقيقيه : لقد اختفى الملعون .. فشملان ولده لا يعرف مكانه وفي الغالب كما يقول لا يعرف ولا يعرف بقصة تهديده لبحري بتطليق هند

قال خليفة : هو لا يخرج من الحدود بشكل قانوني ، يخرج تهريبا اذا صح سفره ، فلذلك لا يوجد له اسم على الحدود كما اخبرني ابن عمي الضابط في شرطة مدينة حصينة احدى مدن الحدود

قال مفيد : رشوت خادمة في القصر فهي تقول لا تعلم بوجوده في القصر من يوم خروج غبشان من المستشفى وما زلت على تواصل معها

ـ ما موقعها في القصر ؟

ـ ما بين المطبخ وتوزيع الطعام .. خادمة مائدة كما يقال

***

لم يظهر شلبي أمام الناس في القصر أو الشارع وصدق الأخوة انه سافر ليعقد صفقات مخدرات كما ينتشر عنه ، مضت بضعة شهور على الطلاق وهند تعيش ببيت الأرملة شوهة وبجوار أخيها عواد وزوجته وأطفاله في شارع أبو رقبة في بيتين متجاورين ، لقد اشترى عواد بيتا قريبا

من بيت والده امليحي عندما تزوج ، واجرى عليه تحسينات وإضافات واحب أن يعيش بجانب بيت أمه ؛ فلذلك تراه كل مساء يسهر معها ، وكان قد استأجر لها خادمة أجنبية لتعتني بها وتساعدها ، وعاش معها مفيد ردحا من الزمن ، ثم ابتاع بيتا أو شقة في حي بعيد عن شارع سيدو عدنان وظل يطلل عليها ، وأما خليفة منذ تزوج وهو خارج الحي والشارع وهو يعمل في التجارة العامة مع أصهاره آل طيان .

خليفة درس جامعة نحو شقيقه عواد ، وكان له صديق عزيز في جامعته ثم عن طريقه طلب يد أخته ، فوافقت البنت وأهلها وبمساعدتهم قام بفتح شركة عامة باستيراد الأثاث والثلاجات الأجنبية والطاولات الثمينة ، ويدير المعرض والمكتب هو وزوجته منيرة محمد التي درست المحاسبة لتنخرط في العمل البنكي الذي يملكه خال لها ، ولكن بزواجها من خليفة لم تعمل في البنك إلا بضعة أسابيع ، وشاركت زوجها محل تجارة عامة كالأثاث وتوابعه

قالت لما رجعا للبيت مساء : خادمة البيت تريد الرحيل لبلدها كما أخبرتني من أيام .. تحتاج لحقوقها المالية كلها وثمن تذكرة السفر .. ونحن نحتاج لخادمة جديدة وتحدثت مع مكتب الخادمات فطلب مني المرور عليه ظهر غد

ـ جيد ! انشغلت اليوم بتخليص بضاعة إيطالية كما تعلمين فشركة الاستيراد بلغتني بذلك وسنقوم بالتخليص ومراجعة جمرك الميناء

ـ يعني اذهب وحدي لمكتب التشغيل لخادمات البيوت

ـ سنرتب ذلك

ـ هل من جديد في موضوع شلبي إسماعيل ؟

ـ لم يظهر في القصر أو غيره .. وحتى زوج أختي طلقها خفية عنا واختفى هو الآخر .. وترفض هند العمل مع عواد .. ومفيد ما زال يتوعد ويتهدد ويصبح يوميا على بواب القصر لا يقتنع أن الرجل خارج المدينة .. والرجل لليوم لم يتقدم لطلب هند كما فهمنا من طلاق بحري وهند

ـ انتم عرفتم هذا الرجل بسبب موت أبيكم ومن زواجه لهند

ـ مات أبي وأنا ابن ثمان سنوات فقط .. ثم تزوج هندا بعد سنتين أو ثلاث من موت أبي بزعم وصية ووعد من أبي عاشت معه بضع سنوات

قالت : أبي مندهش من قصة التهديد ويسألني هل فعلا صدر التهديد لزوجها بطلاقها ؟!

ضحك خليفة وقال : هند قالت لنا ذلك ، وتركت بحريا لإخبارنا، ولم تعد بعد إخبارنا ، ثم أتت وثيقة الطلاق من المحكمة الشرعية .. واختفى الرجل كما يقول عواد واتخذ موضوع التهديد بشكل جدي ونفذ الأمر .. ونحن ننتظر تحرك شلبي لنصدق ما حصل

ـ قدر الله وما شاء فعل

ـ هذه احسن عبارة لمثل هذا الوضع الشاذ .. بدل أن يذهب للشرطة أو المدعي العام أو لمحامي ذهب للمحكمة الشرعية طلق وخلص

ـ يبدو أن الرجل المهدد أثار الرعب في قلب بحري

ـ لم تتركه هند وحده عند زيارة رسول شلبي إلا لإحضار إبريق الشاي

***

ارسل شلبي ابنه شملان لبيت الأرملة كما يقال في الحي أو الشارع رغم وجود غيرها من الأرامل ، اشتهرت شوهة بذلك اللقب منذ موت زوجها من إثر المخدرات ولهيبها .

لما علمت الأسرة برغبة شلبي بزواج أختهم أصابهم الاستغراب والحيرة وصح التهديد الذي نقلته هند لهم ، واجتمعوا معه فقال عواد : يا أبا حسونة أترى ذلك مناسبا ؟ أبوك تزوجها رغما عنا لما كنا صغارا وزعم أن أبانا أوصاه بذلك ، ثم أجبرناه على طلاقها بحكم القانون والسجن .. وذهبتم لزوجها وهددتموه بطلاقها هل يصح ذلك يا عاقل ؟ أين نعيش نحن ؟

قال شملان : كل ما قلته صحيح .. وأنا لم يكن لي علم بالتهديد إلا لما حدثتني عنه .. وأنا لا أتواصل مع أبي كثيرا ، ولا يطلعني على خططه وأفكاره .. وأبي كما قال لي تلفونيا يرغب بذلك بفتح صفحة جديدة بين أسرتينا يا سيد عواد .. ووجد أبي أن عودة السيدة هند لعصمته توقف الأحقاد والمعارك بيننا والعداوة المستمرة .. ولو كان زوجها متمسكا بها ما خضع للتهديد

لذهب للشرطة وشكى ؛ لكنه قبل الطلاق ورضخ بدون تردد كما يبدو لي ولكم .. فهند كما هو الواقع لا تلد ؛ لذلك هو يرغب فيها وطلقها قديما بسبب السجن وأمل أن تلد من غيره .. ويقول هذا النسب حل للأحقاد بيننا .. هذه وجهة نظره

قال خليفة: أفكار طيبة !.. ولكنك ترى أن الأمر بهذه البساطة يا أبا حسونة ! نحن وأبوك في السجن كنا مرتاحين كل هذه السنوات .. وأبوك رجل غير مستقيم وسمعنا انه عاد لتجارة المخدرات.. وستبقى الفيلا عرضة للمداهمات والشرطة وقد يجلب لنا الشبهة ونتهم بمشاركته تلك التجارة

قال مفيد متدخلا : كان من الواجب أن يكف أبوك عن هذه التجارة الشيطانية بعد سنوات الحبس ويتعظ ويلزم المساجد ويذهب لبيت الله الحرام بمكة المعظمة .. ولا يعود لقتل الناس بهذه التجارة من اجل المال .. فالمخدرات داء وليست دواء

قال شملان وهو يقف : من شب على شيء شاب عليه أيها الأحباب ..اسمحوا لي بالانصراف وفكروا بحسنات الصلح بيننا نحن الشباب .. نحن نرغب بفتح كتاب جديد معكم يا حجة أم عواد بدلا من الثأر والانتقام الذي لن يستفيد منه إلا حسادنا وخصومنا

قال عواد وهو ينهض ليرافقه لمدخل الشقة : اذا تغير الوالد قد نتغير نحن مثله .. وننسى موت امليحي المسكين الذي لم يقدم له والدك إبرة علاج ودواء .. تركوه يموت لقد انتهى واستغنوا عن خدماته يا شملان .. لما مات أبي كنت ابن عشر وأعي ما يحدث لنا من عذاب وهم لابي هلك من قلة العلاج والدعم من أبيك .. لو كان أبوك صديقا له كما يزعم لأرسله للمستشفى أو مركز علاج للإدمان لكنهم رغبوا بالخلاص منه أبوك وعصابته.

قال شملان : كنا أنا وغبشان أطفالا اصغر منكم ولا نعرف عم امليحي جيدا .. أرجوكم فكروا وسيكتب أبي لأختكم الفيلا مهرا كما قال ؛ لتصدقوا انه يحبكم ويرغب بمصاهرتكم والبنت كانت زوجة له قديما وتعرفه حق المعرفة .. ونحن أو أنا لست لكم بخصم وعدو

قال مفيد على غير العادة من حبه للمعارضة : جيد دعونا نفكر رويدا رويدا !

التفتوا إليه دهشة فقال عواد : ما هو الجيد ؟!

ـ الفيلا مهر لهند

***

بعد انصراف شملان حضرت البنت ، وكان قرارهم قبل لقاء شملان والعرض المقدم الرفض المطلق ، ولكن فكرة الصلح المستدام بين الأسرتين والفيلا كمهر لهند ، راقت لهم فسمعت هند أقوال شملان وقالت : وهل استطيع العيش معه أيها الناس أنا ما صدقت وطلقت منه ؟

قال عواد مخففا من ضيقها الواضح : الوضع اليوم غير زمان ..أنت اليوم لك أخوة كبار يحسب حسابهم .. قديما لم يكن لك احد يحميك .. فأمك لم تستطع الدفاع عنك خوفا علينا كما فهمت منها وأقارب أبيك لم يتحدوا الرجل ويمنعوه من الزواج منك .

قالت الأم : نعم ، كنت مرعوبة منه .. وكان أبوكم يسيء إليّ بالضرب والسب وغير ذلك حين انصحه بترك شلبي والمخدرات التي يتعاطاها .. وانه سيهلك نفسه منها .. وأنا صدقت وصيته لشلبي لحاجته للكحول والمخدر .. كنت آراه وحشا ومجرما ومخيفا .. اذا الشرطة عاجزة عن إيقافه ومنعه من بيعها ..وكما قلت كنتم صغارا أمام وحشيته .. خفت أن يؤذيكم من بطشه وحقده .. هو علم أباكم التوزيع بسيارته والسهر في قصره مع شلته الفاجرة ومع حفلاته التي لا تنتهي .. وهند عاشت معه اقل من خمس سنوات

قال مفيد : نحن لا ننسى إهماله في مداوة أبينا ؛ وكأنهم أرادوا الخلاص منه .. وهكذا عالم الإجرام عندما يحترق العضو ويصبح ضعيفا وعالة يهمهم الخلاص منه ولا يهتمون بحياته ومن قبل بصحته

قالت الأم : وهذا الزواج أراه قبيحا يا هند !

قال عواد : يا أمي الصلح معه خير .. أرأيتم كيف طلقها زوجها بمجرد عبارات تخويفية واختفى؟ .. طلقها غيابيا .. ونحن قبلنا العرض مبدئيا أن تصبح الفيلا باسمها قبل الزواج فالعرض جيد يا هند قبل أن تندمي به .. عرض الفيلا أو القصر فرصة

قالت هند : وإذ لم تعجبني العيشة معه كيف سيكون موقفي ؟

قال خليفة : هذا هو السؤال الكبير ! ما مصير الفيلا وما مصير الصلح ؟

قال مفيد : سأغادر وتعبت من القيل والقال وليأخذ كل منا وقته في التفكير .. الحرب بيننا لم تنته .. السلام عليكم

بعد انصرف مفيد قال عواد : كلام مفيد بالتفكير جيد .. والتأني في الإجابة جيد .. وأما أسئلة خليفة نتفاهم بها معهم .. مصير الفيلا اذا اضطررنا للطلاق بعد قبولنا للزواج وما مصير الصلح

قال خليفة : هو الصلح خير كبير عادة .. كاد أن يسجن مفيد بحادث اللعين غبشان وهو بين يدي الشرطة والبوليس .. اعتقد الأمن أن مفيدا كلف احدهم بالمهمة المؤلمة

قالت هند : أنا في حيرة من العيش معه يا أمي !

قالت أمها : لن يجبرك احد على الاقتران به وكما قال أخوتك الصلح مع المجرم طيب وحسن والفيلا حقيقة إغراء كبير لكم ولك

قال عواد : سنتفق على تفاصيل العيش معه من الاحترام وعدم الضرب مع أن شملان قال لي أن أباه من النادر أن يستخدم يداه بالضرب .. هو شاطر بالشتم والسب على الشخص وأهله وحتى على نفسه .. لم يشهده مرة ضرب أمه بيده .. وأنت كنت تحدثينا أن زوجته التي كانت تعتدي هي عليك بيديها وهي الآن ميتة

قالت هند : سأفكر سأفكر سأفكر

***

وقبل سكن الشلبي الفيلا بسنوات وظهوره في حي الزيتونة كان امليحي يعيش فيه ، وذلك عندما تزوج الشاب امليحي اشترى شقة في شارع أبو رقبة بيت الأرملة الحالي ، وكانت مهنته التي استقر عليها نقل الخضار للمحلات الصغيرة بواسطة سيارة يمتلكها ، وهذه الأموال تكون محدودة وصغيرة ، وكانت شوهة تتلقى مساعدات من أهلها ومن جمعيات العناية بالفقراء

لأن فقرهم كان واضحا للعيان ، وكان زوجها قد تعلم شرب الخمر قبل زواجهما ، وكان كلاهما يدخن ، فدخله من العمل على البيك آب يا دوب كما يقال يصرف على دخانه وخمره ، فلما وضعت هندا حثت زوجها على ترك شرب الخمر ؛ ليوفر مصروف الخمر للمولودة الجديدة وقد اصبح رب أسرة زوجة وطفلة ، ولم يفعل ، فطلبت منه عدم العودة للبيت إلا وهو صاحي من سكره ، وكان كلما يأتي للبيت سكران يتعرض للضرب منها ومن أهلها ، ولم يردعه ذلك فتترك له البيت أياما في بيت والديها ، ثم يصالحها بالتعهد بترك السكر أو عدم دخول البيت في حالة السكر ، يمضي الحال هذا أياما ، ثم يعود لكاره وعادته السيئة ، وولدت عوادا ولم يتحسن الحال ، وضاق الأهل بحردها وبأطفالها ، فلزمت الصمت ولم تعد تترك بيتها ، وولدت خليفة ومفيدا وبعد مفيد ظهر شلبي المهرب في الشارع ، وزادت معرفته بامليحي وتقرب إليه ، واصبح يتردد على قصره لنقل البضاعة المهربة بخطط من شلبي، وبعد سنة أو اكثر من الصداقة تعود على التحشيش فوق السكر .. واصبح فيما بعد معروفا لشرطة مكافحة المخدرات والشرطة العادية ، فلم يعد يستفيد منه شلبي بشكل كبير ؛ وكذلك صحة امليحي أخذت تزداد تدهورا بين فترة وأخرى حتى سكنت روحه ، ولم يكترث لموته احد لا من سكان الشارع ولا من أهلها ولا من أهله ؛ لأنه اصبح عالة للجميع وسخرية لهم ، وشعر أبناؤه بإهمال شلبي وشلته له ، وتفاجأوا بطلب الزواج من هند وأرغمت هند وأمها على القبول به رغم إحساسهم انه هو الجاني على أبيهم وعلى الأسرة .

سكنت هند الفيلا مع زوجته الثانية بهجت أم غبشان وكانت المشاكل قائمة قاعدة بينهن ويستمتع شلبي بالعراك الدائم بينهن ، وخاصة لما تقوم أم غبشان بضربها هي وابنتها وابناها ؛ ربما تنقل في بعض الأحيان للعيادة من الرضوض والجروح ، ولم تحمل هند منه ، ولم يهتم هو بذلك ؛ لأنه لم يترك بنات الهوى في كل البلدان التي يتعامل معها ويسافر إليها ، حتى تمت إدانته من العدالة وبعد اكثر من عامين طلقت هند لما حكم عليه بعشرين سنة سجن فعلي ، وقبل ذلك الحكم لأنه ليس له منها أطفال ، فهي وحيدة في القصر ، وبعد حين تزوجها بحري بعد

طلاقه هو الآخر لأمرأته ، ورحلت من شارع سيدو عدنان حتى كان خروج شلبي .

***

استطاعت الأرملة بعد موت زوجها العمل في خدمة البيوت والجيران حتى تعلم عواد وفتح متجرا صغيرا بدا منه ثم كبر واصبح صاحب مصنع غذائي متوسط الحال ودرس خليفة في الجامعة وأثناء الجامعة تعلقت به فتاة عن طريق شقيقها أو تعلق بها من بنات الأثرياء واصبح موظفا في احدى مستشفيات المدينة ، فقد درس الأعمال الإدارية هو زوجته منيرة محمد ويعملان معه ، ثم ترك الوظيفة الإدارية ؛ لأن دخلها محدودا وأنشأ متجرا تجاريا لبيع الأثاث والأدوات المنزلية المستوردة من أوروبا ، وأما مفيد فوصل للثانوية العامة وعمل في مهن مختلفة واصبح مقاولا للتمديدات الصحية والكهربائية واشتغل بالمقاولات الشعبية من بناء وتسليح وما زال له مكتب في شارع الناصر معروف للناس

كان عواد يوفر عملا ونشاطا لأخيه مفيد من معارفه وأصحابه وزبائن المصنع لأن أعمال التمديدات الكهربائية والصحية تحتاج لعلاقات عامة مع أصحاب شركات المقاولات والبناء فتارة ينشط شغله وتارة يركد أو يضعف رغم تنوعه وتلونه

رن هاتف مكتبه الصغير ظهرا فسمع صوت عواد يقول بعد السلام : لدي عطل كهربائي في المصنع والمهندس احمد يرغب ببعض العمال والفنيين بالصيانة

ـ كم واحد ؟

ـ اثنان فقط

ـ متى ؟

ـ الآن

ـ حسن سأرسل إليك حمدي ومروان اذا لم يكن بين أيديهم شغل

ـ المهم ارسل اثنين للمصنع غير مهمة الأسماء المهم يفهمون بالكهرباء

ـ حسن سآتي بهم إن شاء الله .. الشغل اليوم ميت بدأت افكر بإغلاق المحل يا أبا بسام وانظر

مصلحة أخرى

ـ جيد ! لا تتعجل فالسوق هكذا وأنت خير العارفين لو أنك تشتغل بيدك لشغلتك مع المهندس أنت يا أخي لا تحب العمل بيدك ؛ ربما نسيت ما تعلمته قديما

ـ بعض كلامك صحيح تعودت على إدارة الشغل دون العمل بيدي

ـ بعدك تتدرب في النادي

ـ ما زالت الملاكمة حلوة يا عم

***

عاد شملان للقاء الأخوة الثلاث بعد العرض الذي قدمه لهم لمناقشة الأمر بزواج أبيه من طليقته هند التي لانت للعودة له اذا كتب الفيلا باسمها قانونيا ، وأن لا يسكن معهما احد من أبنائه وزوجاتهم ؛ لأن أمهم بهجت هلكت خلال سنوات سجن أبيهم ، وامرأته الأولى لا يعلم مصيرها حسب ما هو مشهور ، ولم تلتق بها هند البتة ، وكانت تقصد بهذا المطلب خروج غبشان منه ؛ لأن شملان فارقه من زمن ، فقبل غبشان العليل بالرحيل لبيته الخاص ، فهو الوحيد الذي يسكن القصر وأما شملان فقد رحل بعد موت امه وابتاع شقة خاصة به .

قال عواد بعد الترحيب بشملان : هند ستقبل بالعودة لأبيكم بعد الطلاق الطويل .. ولن يحدث زواج حقيقي حتى تسجل الفيلا قانونيا باسمها هي وستعبر مهرا لها

قال : أبي سيوافق ، واحب أن أعلمكم أن أبي تجدد له المرض الذي ضربه في السجن وقد لا يعيش طويلا .. والأعمار بيد الله كما تعلمون .. ومرضه يقول غامض على الأطباء ويفكر بالسفر إلى برلين أو باريس للعلاج .. فهو مرض عصبي قيل له .. ولعل هذه الفيلا تكون من نصيبها يا عواد واعلموا أن أموال أبي كثيرة حسب ما اعلم منه ومن بنسلي .. وغبشان تقبل الرحيل .. ولا نحب أن نعيش حياة أبينا في تجارة هذه المخدرات .. ونحن تضررنا منه كثيرا رغم بعدنا عنها .. نحن لما شببنا كما تخبر يا عواد كنا صبيانا صغارا .. وأنا لم ارتاح لها لما لها من فتك بالبدن وبالأسر .. ومن وقع فيها اصبح أسيرا لها وعبدا لها

قال خليفة : واذا لم ينجح الزواج لأي سبب كان فلن تعود الفيلا لأبيكم

قال شملان : هذا الشرط مقبول اذا لم يكن سبب الطلاق من طرفها .. ولم يكن خداع بيننا

قال عواد : هند كما تعلمون لا تنجب ؛ لأنها تزوجت غير أبيكم ولم تلد .. واذا حدث الطلاق من قبلها لن نرضى نحن أيضا أن تأخذ أموال أبيكم ظلما يا شملان .. نحن نعرف الله ونجتهد أن لا نأكل الحرام .. وأنت تعرف ذلك .. ستعيش زوجة معززة مكرمة لا تتعرض للضرب من احد منكم كما كنتم تفعلون معها قديما

قال شملان : رحم الله أمي كانت لا تتحمل لسان هند ، وكان أبي يغيظها بتدليل هند بالكلام المعسول أمامها وبحضورها كان يحب التسلية بمشاجراتهن .. ونحن كنا صبية تبع لأمنا .. نحن رتبنا أن ندع أبينا براحته ؛ وليس بيننا إلا زيارات عائلية كما تفعلون مع الحاجة أم عواد وسنتحدث بالتفاصيل كلها قبل .. قبل نقل ملكية الفيلا لهند .. وسنجتمع نحن وانتم في القصر أو أي مكان تختارون للتفاهم بينهما .. وتأخذ هند راحتها بالكلام والملاحظات التي سيسمعها أبي منها ومنكم

***

كان خليفة وزوجته منيرة في زيارة لبيت والديها فاستقبلهم الوالدان على مدخل البناية وعانق خليفه كالعادة عمه وعمته ، وفعلت منيره مثله، ثم تقدمت المجموعة للباب الداخلي للبناية ولما جلسوا في صالة الجلوس ، رحب أخوة منيرة شبانا وإناثا بزوج أختهم واختهم وعانقوا الأطفال ، ولما جلس القوم وانصرف من انصرف قال محمد : أحببت أن اسمع منك ما الذي يدور بينكم وبين ذلك المهرب كما أخبرتنا ؟

تناول خليفة الشاي من الخادمة الفلبينية التي تعمل في بيت عمه الدكتور البشري وتناول كذلك كوب الماء وشربه فورا وهو يثني على الفتاة وقال : قصتنا قديمة مع المخرب كما يحب أن يقول أخي مفيد .. هذا الرجل لما شيد قصره في شارع أبو رقبة حيث ولدنا وعشنا بداية وجودنا في هذا العالم .. تعرف على والدي وكان يملك سيارة تحميل يشتغل عليها ببيع الخضار أو قل نقل

الخضار وغير ذلك فاستغله المهرب شلبي لنقل المخدرات لزبائنه في أنحاء البلاد

قالت الحماة : شغل خطير .. ضر والدكم رحمه الله

ـ صحيح يا أم محسن .. لكنه يدر مالا اكثر من شغل نقل الخضار وغيره .. وللأسف كان أبي ـ رحمه الله ـ مغرما بالكحول حتى قبل زواجه من أمي .. فصار يختلس من المخدرات التي ينقلها

فقال محمد مكملا : حتى تعلق بها وكما يقال أوله دلع وآخره ولع

قالت منيرة : هذا ما حصل مع المسكين ـ رحمه الله ـ غرم بها وادمن عليها حنى دمرته

فقال خليفة : بعد موت أبي ـ رحمه الله ـ ضغط المخرب شلبي على أمي بأن والدي المرحوم وعده وأوصاه بالزواج من هند ضرة على أم غبشان وشملان .. وخافت أمي علينا من خطره وشره ورضخت لوصية امليحي ـ رحمه الله ـ فلما بلغت هند سن خمس عشرة سنة تزوجها وبعد بسنوات كما تعلم منيرة حبسته الحكومة عشرين سنة ، وبعد ثبوت الحكم ضغطنا عليه لطلاق هند ، وهو وافق بكل أريحية الحق يقال فقال عشرون سنة عمر .. ثم تزوجت من قريب لنا هو الأخر طلق امرأته أو هي طلقته فقبلنا به زوجا لهند ، ولم يكن لها نصيب في الخلفة يا عمي المبارك

ـ بارك الله فيك يا ابني .. وصلنا لأحداث اليوم

قالت الحماة : اكثر هذا الكلام سمته من امك الغالية .. ما هي قصة طلاق هند الجديد ؟

قال : القصة يا عم أن الرجل يرغب بإعادة هند لذمته بزعم انه متعلق بها ، وكان يتمنى أن تلد منه واليوم لا يهمه الخلفة .. فارسل رجلا من أعوانه وعصابته هدد زوج هند وأمره بطلاقها وكما ظهر ارتعب السيد بحري صهرنا ونسيبنا وطلقها غيابيا واختفى ، لم يستطع عواد أن يلتقي به فاختصر الشر وطلق .. ثم بعد شهور ارسل لنا المهرب شلبي ابنه شملان صاحب عواد وهو ولد طيب ومحترم حقيقة وإن كان أبوه اكبر مهرب في البلد اذا صح القول وهو من جلينا ؛ بل نحن اكبر منه بسنوات خاطبا لأبيه وساعيا إلى الصلح بيننا بين العائلتين ؛ لأن مفيدا لما خرج شلبي من الحبس سبب بلبلة في القصر بالاحتكاك بغبشان

فقالت منيرة : حتى انهم استغلوا مناوشة مفيد العلنية مع غبشان واطلقوا عليه رصاصة بندقية صيد .. ولولا أن الشرطة كانت تعتقل مفيدا احتياطيا لتورط في الجريمة

قالت أم منيرة : الحمد لله ربنا الحافظ يمكرون ويمكر الله

قال محمد : كمل يا ابني !

قال خليفة : تفاهمنا العائلة على قبول الزواج منه بعد أن يتنازل عن القصر لهند قانونيا على اعتبار انه مهر لها .. واليوم لا توجد ضرة لهند كما حدث قديما .. وسيخرج ابنه غبشان من القصر ويعيش ببيت خاص به ولعله خرج .. وشملان بعد موت امه وهو بالمناسبة مهندس منذ ماتت امه تروج وترك القصر والعيش فيه فهو غير معجب بحياة أبيه لكنه أبوه .

ـ أترون ذلك مناسبا للبنت وتقبل بذلك ؟

ـ نعم ، نحن لم نضغط عليها .. نحن ليس بيننا وبين الرجل عداوة شخصية ؛ ولكننا لما كبرنا كنا نلومه على الإهمال بمعالجة الوالد.. وقصة هند وزواجه منها كنا أطفالا وأعمامنا لم يقفوا ضده ويمنعوا الزواج .. وهي موافقة على ذلك بكامل إرادتها

قالت الحماة : ووفاة الوالد ـ رحمه الله ـ التقصير يا ابني من أبيك فالذي فهمته من جلوسي مع امك أن الرجل لما اكتشف اختلاسه من شحنات المخدرات لم يعاقبه ؛ بل غض الطرف وحذره من المخدرات وضررها.. فهو يتاجر بها للكسب الكبير منها ولا يتعاطاها ؛ ولكن والدك المسكين تعلق بها دون حساب لإضرارها وخطرها

ـ نعم ، سمعت ذلك أو مثله من أمي ؛ لأنها سعت منذ تزوجته أن تمنعه من شرب الكحول فتذهب لبيت أبيها ، ثم يتصالحان ، ولما كثر المواليد ضاق الأهل منها واجبروها على الصبر فصبرت

***

حصل توافق بين شملان وكيل أبيه وأخوة هند على زواج أبيه من هند بعد طلاق طويل ، وعقدت جلسة ودية بينهم وبين شلبي بعد أن ظهر في القصر بناء على تقرير من شملان ، وقد

اطمئن من ناحية أسرة امليحي ، وقد رأى الأخوة أن الصلح بينهم وبين شلبي سينهي العداوة التي تجددت بعد خروجه من السجن ، ووافق شلبي على تسجيل الفيلا باسم هند امليحي وسيكلف احد محاميه بالقيام بالإجراءات القانونية الرسمية ، وبعد رحيل غبشان إلى شقته المستأجرة ، سيعيش هو وزوجته في الفيلا ، واذا حدث انفصال بينهما من قبلها ستعود الفيلا لذمته ؛ كما سيكتب في عقد التنازل ، وهناك احتمال كبير بترك شلبي الفيلا ليعيش في احدى الشقق التي يملكها ؛ لأن حياته في خطر بسبب علاقته المعقدة مع منظمات محلية ودولية في تجارة المخدرات ، واذا فعل ذلك سيقوم بتأجير القصر والأجرة ستكون بينه وبين هند.

فقال عواد : هذا اتفاق مبدئي بيننا .. لما يقوم المحامي الخاص بك بنقل الملكية لأختنا سنشرع في الاستعداد للزواج وكتابة العقد الشرعي

قال شلبي : هل هند تقبل بالزواج مني بعد هذه التفاهمات؟

قال خليفة : هي بالصورة منذ بدأ الحديث عن الصلح رغم انه ساءنا طلاقها تحت التهديد وكما يقال رب ضارة نافعة .. وأنت تعلم أن هندا لا تصلح للحمل

قال: اعرف .. وقد فكرت بعلاجها أيام زواجنا الأولى ؛ لكن حياتي تحت التهديد من منافسي في السوق لم تحبب لي الإنجاب منها ؛ لأنني كنت أخاف على الأبناء من الخطف والاغتيال .. فحياة المهرب صعبة وقاسية ، وفي البداية تكون جميلة وممتعة مال نسوان سفر .. ولكن لما يتورط الشخص ويتعمق فيها يعلم شرورها وجنونها ، ولا ينفع الندم والخروج منها بسهولة .. فليس من السهل الابتعاد عنها .. فسوف يصبح فريسة سهلة لخصومة وحساده

قال شملان : ونحن ما زلنا تحت الخطر .. ولليوم لم نعرف من سعى لاغتيال غبشان ببندقية صيد مما سببت له أذى كبيرا في بدنه

قال غبشان : أنا ظننت نتيجة تهديد مفيد أن رجاله هم من فعلوا ذلك

قال مفيد محتجا : ليس لي رجال يا غبشان ، لي أصدقاء ومعارف يهتمون بأمري مثلك ومثل كل الناس ، وأنا لما حذرتك من حفلة الخروج كانت لدي خشية من استغلال المناسبة لإيذاء

أبيكم ؛ ولكنكم كابرتم ، ولو وجدت الشرطة لدي دليلا بالاعتداء بشكل فعلي ما اخلوا سبيلي يا عم شلبي

قال شلبي : موقفك الحاد يوم الخروج وقبله هو الذي جعلكم في بوز المدفع .. والخصوم استغلوا المشهد بشكل جيد ؛ ولكن الصلح خير .. وأنا لو استطيع ترك رجالي وأعواني لفعلت نحن لا نستطيع التقاعد مثل الموظفين .. لا نتقاعد إلا بالهلاك .. وأنا اعلم أن وضع السيدة هند سيكون صعبا ومرعبا ؛ ولكنها ستتحمل حتى تزول الغمة .. ليتني استطيع الاستقالة .. وقد قيل كما سمعنا " الندم هو الإبصار الذي يأتي متأخراً " لعل الشيخ عوادا قرأ في القرآن قصة ندم ابن ادم بعد أن قتل أخيه المسالم .. وقد قيل أيضا " الندم هو الإرث الطبيعي للتقدم في السن"

قال مفيد مؤكدا ما ذهب اليه شلبي : نعم الحياة مع العصابات لن تكون سهلة ولكن فات الأوان يا عم شلبي عليك أن تدافع وتقاوم عن مملكتك الصغيرة

ضحك شلبي على تعقيب مفيد وقال : يا ابن أخي أي مملكة املك ؟ الزمن لن يعود .. الغلبان الجائع لما يملك المال الكثير تغمره السعادة والقوة والغرور والخيلاء .. ما فات مات .. علي أن أعيش في الرعب والخوف .. ولا تظنوا أن ذلك حب للحياة فقط وعلي أن أدافع عم تبقى من حياتي .. والخوف ليس فقط من الخصوم والمنافسين ؛ بل من الأبناء من الأصحاب.. والعصابة نفسها فلابد أن يكون بينهم ذو أطماع هذه طبيعة بشرية .. فكم تأمر علي منهم

قال عواد : نتمنى لك السلامة يا عم شلبي ونرجو أن تقوم بيننا حياة طيبة وسلسة

قال شلبي : ستعيش هند حياة طيبة إن شاء الله

***

بعد أيام من هذه التفاهمات تمت كتابة عقد ملكية لهند للقصر الشلبي بكل ما فيه من بناء وأثاث ثم كانت كتابة عقد زواج بينها وبين شلبي ، وتحدد يوم الحفلة والتي ستكون حفلة عائلية صغيرة خشية حدث أمني كبير ، ولم تنفع الترتيبات والاحتياطات التي اتخذها شلبي ، فقد

تعرض القصر لإطلاق نار وعيارات نارية وهو يجلس في حديقة من حدائق القصر ، وأصيب احد الحرس الخاص به إصابة بالغة ، ولم يعرف من اطلق النار ؛ لأن مطلق النار عليه كان من جهة السور وتبين أن السيارة المستعملة اختفت في نقل القتلة ، ولم يكن هناك شهودا بسبب ظلمة الشارع تلك اللحظة ، ولم تكشف إضاءة القصر أي قاتل ولا حتى الكاميرات .

وحضرت الشرطة للتحقيق في الحادث، ولم يسفر التحقيق عن شيء مهم لسرعة اختفاء المهاجمين ، وادرك الجميع أن الخطر ما زال محيطا ومحدقا بشلبي ، فقال عواد للعائلة : هل تورطنا أيها الأصدقاء بقبول زواج هند منه ؟

قال خليفة : لم تعد هند صبية صغيرة يا عواد! فهي تقترب من الأربعين والزواج لابد منه للمطلقة والأرملة .. ولن يتقدم أي عريس لها بسبب اطلاق تهديدات شلبي .. ستظل تنتظر ابن الحلال حتى يهلك شلبي .. وشلبي قدم لها الكثير قصرا ثمينا كمهر ..

قال عواد : همس في أذني بانه سيعمل لها حسابا خاصا يضع فيه رصيدا كبيرا اذا طاب لها العيش معه وتأكد من ذلك فلديه أموال كثيرة خارج البلاد

***

تم تأجيل حفل الاقتران بين شلبي وهند بسبب الحادث ، اختفى شلبي بعد نجاته من محاولة اغتيال جديدة ، وتم إفراغ الفيلا إلا من بعض الخدم والحراسات ، ولما هدأت أزمة المحاولة قام شملان بترتيب زواج أبيه خفية ، وبعد حفلة صغيرة في الفيلا قام شملان وصحبته العروس وشقيقها عواد وأمها إلى منزل شلبي الخفي ، وهو عبارة عن شقة في عمارة ضخمة تتكون من اكثر من عشرين طابقا في مدينة السرو في شقة امتلكها بعد خروجه من السجن ؛ لتكون بيتا آمنا كما يقال ، وهي نفسها التي اختفى فيها بعد أحداث القصر التي تضرر فيها غبشان ، واتفق شلبي مع شملان كالسابق على أن يوفر له شملان ما يلزم من طعام وشراب إلى حين ، وقلل من استخدام هاتفه الخلوي الأصلي ، وكان يستخدم بطاقات جديدة كل فترة وأخرى ، وكان شملان يزوره كل بضعة أيام مرة بسيارة أجرة وينزل قريبا من المنطقة ، ويمشي سيرا على القدم

إلى عمارة القدس ـ هكذا اسمها ؛لأن مالك العمارة من بيت المقدس ـ وفيها شقق تستخدم للإيجار ، وشقق قد تم بيعها ، وبعضها اجر كشقق كمكاتب شركات تجارية ومحاماة والعمارة فيها طوابق أرضية تستخدم كمواقف سيارات ، وفي الطابق مكاتب لإدارة البناية والحراسات والصيانة السريعة للمصاعد والكهرباء والتدفئة وغير ذلك من الصيانة ، وكان اذا اضطر للخروج يخرج متخفيا بثياب امرأة محجبة ويلبس وجها من الشمع .. فكان يقول لهند : اعلم أن حياة كهذه صعبة وشاقة عليك؛ ولكنها محطة مؤقتة أرجو ألا تطول .. فنحن خصومنا لا يرحمون ولا يقبلون بالاستلام الموت هو الاستلام في قانون التهريب

ـ كانت حياتك قبل السجن افضل

ـ كنت قويا ولدي رجال مخلصون أثق بهم ؛ لكن سنوات طويلة في السجن تتغير فيها النفوس والولاءات

قالت : ما دمت قد رضيت بك زوجا سأكون وفية لك يا سيدي

ـ أنا لا اخشى من ناحيتك يا هند .. أنا عرفتك وخبرتك طيبة ووفية وكما قلت لعواد سأعمل لك حسابا بنكيا خاصا في اقرب فرصة واضع لك فيه رصيدا يسعدك إلى آخر يوم من حياتك

ـ وأولادك

ـ لدي الكثير لن اظلمهم ؛ ولكن المال مالي .. وقد وهبت غبشان حصة ليشتري شقة ؛ لكنه أخذها ولم يفعل.. يعيش في شقة مستأجرة ، ولا يريد تكرار الزواج بعد زواجين فاشلين ، وابني الكبير سبع منذ غادر البلد لم أتلق منه أي رسالة أو برقية أو هاتف ، وكذلك أخته ملاك الذين عرفتيهم صغارا رغم عيشها هنا لم تزرني في السجن إلا مرة أو مرتين في أول حبسي لما تزوجت قريبا لي اختفت من حياتي هي الأخرى .. وفعلت لبنى مثلها ، ولا يهتم بي إلا غبشان وشملان وأنا تعلقت بك منذ تزوجتك أول مرة .. ولما طلقتك تمنيت لك الخير ولا يجب أن أظلمك بانتظاري عشرين سنة ، قلت في نفسي لعل الوهاب يهبك زوجا وذرية .. وعجبت أن بحريا زوجك لم يتمسك بك .. فكأنه ما صدق أن يسمع بالتهديد !

ـ هو تزوجني بعد طلاقه لأم طفليه ، ولما ادرك انني عاجزة عن الخلفة مل وفتر مني

ـ اذا تحسنت أموري الأمنية سأهتم بعلاجك مع انني لا اكترث اليوم للخلفة ولكن سأفعل ذلك من أجلك أنت .. والطب كل يوم يقدم جديدا للإنسانية .. أحوال صعبة سأجتازها .. قريبا سأسعى للسفر للخارج لترتيب أموري المالية

ـ أرجو لك الخير والسلامة

***



شقاء شلبي

تعقدت حياة شلبي منذ خرج من محبسه وقد اصبح عرضة للقتل في أي لحظة وعلم أن خصومه مصممون على التخلص منه كما هي تقاليد عصابات الإجرام المعروفة في العالم ، البقاء للأقوى والأشرس قالت الأرملة أم عواد : لنا اشهر لم نر هندا يا أبا بسام .

نظر لأمه ولأخويه وقال : وضع شلبي تعقد اكثر بعد خروجه من السجن .. كشر أعداؤه عن أنيابهم نحوه .. كان في السجن محميا إلى حد كبير رغم تعرضه لمحاولات قتل داخل السجن كما كشف لي شملان ذلك حتى تفاجأت وقال لقد تعرض لتسمم كبير كاد أن يهلك بسببه وتم إنقاذه في اللحظات الأخيرة ، ثم عانى من السم بالمرض العصبي الغامض ولما سألته كيف دخل السم السجن ؟ضحك وقال : يا عواد الرشوة والمال تدير الروس ؛ بل اكبر راس ، ضابط لما يوضع في رصيده السري مبلغ من المال فيسمح بدخول المخدرات وكل شيء للسجن .. المال المال يفتل العقول

قال مفيد : كلامه صحيح يا عواد ! لما كنت احبس كما تعلمون كنت أتعجب من دخول مواد التخدير وحتى الكحول والسيجار

قال خليفة : كيف ؟ أين مخبرون السجن وحراسه؟!

قال مفيد : الذي فهمته من بعض السجناء انه يتم إدخال هذه الأشياء المنوعات في وقت معين يكون لضابط معين أثناء مناوبته وشلته فلا يقومون بالتفتيش الدقيق للأفراد .. المال عندما يحصل الضابط على راتب كبير في خدمة سجين قد يعادل راتب كل سنوات خدمته

قال خليفة : ولا يكشف الضابط العميل

ـ يكشف ويحال للمحاكمة أو يفصل بدون تقاعد وقد يحبس وتزال نجومه

قالت الأرملة : كيف سنرى البنت ؟

قال عواد : الذهاب للشقة فيه خطر عليه وعلينا ؛ ولكني سأطلب من شملان أن يأتي بها للمكث في القصر بضعة أيام بحجة صيانة وتنظيف القصر .. وقد ذكر لي من زمن قريب أن

والده يستعد للسفر إلى أوروبا ، فهو يثق بي جدا وأبوه يثق به للآخر ، فنحن كما يقال أبناء شارع واحد ، وكنا نلعب معهم في القصر أيام زواج أبيه من هند .. وتعلمت العوم في مسابح القصر

قال خليفة : صحيح قبل طلاق هند كان يسمح لنا باللعب واللهو مع أبنائه وبناته فنحن تقريبا أبناء جيل واحد كان عواد أكبرنا

قال عواد : ومع طلاق هند استمرت العلاقة بيننا وان كانت قليلة

فقال مفيد : ماذا سيفعل بأوروبا ؟

قال عواد : سيتفقد أرصدته السرية أولا ، وقال سيضع بعضها في حساب هند الخاص الذي قام شملان بفتحه لدى البنك .. وسينقل بعضها لشملان نفسه

قال خليفة : وغبشان

قال : منذ حادث غبشان لم يعد يثق به كمتعاون وهو الذي أعطاه مبلغا ليشتري بيتا أو شقة فلم يفعل غبشان بل استأجر شقة فقط

قالت أم عواد : هو لماذا يضع أمواله في الخارج ؟

رد موضحا : يا أمي يضع أمواله بحسابات سرية يقال .. فهنا قد تصادر أمواله وقد يدفع ضرائب كبيرة .. فالمخدرات تدر أموالا كبيرة كما تعلمون ..

قال خليفة : خاصة لمن يكون رأسا أو زعيما كشلبي

قال مفيد : ولكنه ينفق منها الكثير للمحافظة على ولاءات الأعوان يا عم خليفة

***

تحدث عواد مع شملان حول رغبة أمه برؤية ابنتها ، وذكر له الاقتراح بمجيئها للقصر يومين ثلاث فقال شملان : والدي بصراحة ما زال يعاني من الخطر ، واللعب بالنار ليس سهلا وأنا انقل لهما الطعام وغيره بصعوبة ومعاناة ؛ كأنني اهربه تحت المراقبة .. المشكلة يا أبا بسام إن أبي لا يعرف خصومه من هم ؟ يعرف ويشعر بخطرهم وسعيهم للنيل منه ولم يستطع تحديد

شخصياتهم .. فهو لا يعرف من الصديق ومن الخائن بسبب طول مدة الحبس.. وقلما تجد أحدا منهم وفيا تثق به ليساعدك حتى بنسلي يده اليمين كما يقال صار غير ذي ثقة .. فبدأ يفكر بالخروج من البلاد بشكل كبير لترتيب أوضاعه المالية وأرصدته الخفية كما يخبرني .. وهو منذ خرج من الحبس وهو يعتمد عليّ أنا اكثر من غبشان ؛ ربما بسبب حادث القصر وتعرضه لرصاصة بندقية الصيد .. وأنا اخشى مثله على حياتي .. كنا بالمجمل مرتاحين أثناء وجوده في السجن .. لم نشعر أنا أو غبشان بخطر الاغتيال غيلة .. وهو يسعى ويبحث عن جنسية أخرى أو قل جواز سفر آخر جديد ليسافر ويختفي .. قد يدفع ثمنا كبيرا للحصول على هذه الجنسية وقد أسافر أنا لتلك البلد لجلب جواز سفر تلك البلد له .. ولعل هندا تعود للعيش في القصر حتى تتمكن من اللحاق به في يوم من الأيام ، حتى نحن حياتنا في خطر والبوليس لا يهتم بحياتنا فقد رأيت ضعفهم الكبير في معرفة من أراد قتل غبشان أثناء استغلال عداوتنا عندما خرج أبي من الحبس والشرطة لسان حالهم يقول مجرم وفطس ؛ لهذا لا يهتمون به حيا أو ميتا لا يعتبرون عشرين سنة كفارة وصفحة بيضاء ؛ لأن خصم تاجر المخدرات ليس الدولة أو الشرطة وحدها اهم خصومه كل أسرة تدمرت بسبب تلك المخدرات .. كل مأساة لشاب أو بنت أو زوج أو زوجة تعلق برقبته ؛ فلذلك لا يتسامح المجتمع معه .. يراه شريكا في الجريمة فلا يحزن أحد لقتله

قال : للأسف والدك لم يستغل فترة السجن للتوبة والاعتزال .. نعم التاجر والمهرب عدو لكثير من الناس وأسرتي كانت ترى ذلك اتجاهه

ـ لقد سعوا لقتلة يا صاحبي في السجن

ـ لأنه ظل يمارس التهريب مع عصابته .. لم يتوقف ، يريد أن يبقى بزعمه اقوى من الشرطة ولو كان في السجن .. يتحدى النظام .. الغرور والكبر أيها الصديق حتى انتم أسرته تتضررون من عيش المهرب ..ونحن نسمع ونقرأ عن حروب عصابات التهريب في كل العالم ويسعون إلى تصفية بعضهم خاصة الروس الكبيرة

ـ لا احب التبرير أبي ادمن تلك التجارة اللعينة ، وعلم قوتها وخطرها وسوئها ؛ لذلك سعى بكل قوة ألا نتعلمها ونرثها .. وكاد غبشان أن يسقط ببراثن الإدمان لولا أن شجعته على العلاج في احد مراكز العلاج منها واكتفى بالكحول .. وحتى أبي لامه كثيرا على دخول وكر المخدرات

ـ كيف صحته اليوم ؟

ـ ليست بزيادة يبدو أن علاجه لم يتم بشكل جيد ، وهو لا يرحم نفسه بالمسكرات والزنا الإنسان له قدرات في كل شيء .. وبنات الدعارة لا يهمهن المتعة هدفن المال .. التي تبيع جسدها لعشرات الزناة .. هل هي تبحث عن المتعة واللذة ؟

ـ ألم يتزوج ؟

ـ تزوج مرتين، وكلتاهما طلقته لكثرة علاقاته مع بنات الهوى ، ولم يتزوج بعد طلاقه الثانية وواحدة أنجبت طفلا لكنه مات بعمر شهور

ـ وأنت متزوج كما علمت قديما ولم تستمر ؟

ـ أنا تزوجت يا عواد ! ثم ماتت بحادث سير.. وأضربت عن الزواج ، وأختي لبنى من والدي زواجها لليوم ما زال ناجحا .. وتعيش بعيدة عنا ، حتى أنها لم تحضر حفل خروج أبي من السجن هي أو زوجها .. وهذا افضل لها .. واخي سبع مهاجر منذ انطلق للدراسة وكذلك أخته ملاك تعيش في هذه المدينة وبعيدة عنا بشكل تام .. وزوجة أبي الأولى اختفت قبل ولادتنا وأمي ربت طفليها معنا .. وقيل إنها قتلت في حرب لبنان ولم يعثر على بدنها كما قيل ولم يهتم أبي بذلك ، كان التهريب حياته ولكنه أبونا يا سيد عواد

ـ لما ينظر الإنسان إلى قصر أبيكم وسهراته يظن أن كل السعادة فيه

ـ هذا الظاهر أما الباطن فهو سيء خوف ورعب وحرس .. ويبتاع الحارس ببضع دراهم ؛ ولكنها الحياة على المرء أن يعيشها بكل قوة وإرادة

ـ نعود لهند اذاً ستعود للعيش في القصر وحيدة

ـ معها الخدم وبعض الحراس وقد تعيش أمكم معها لحين لحوقها بأبي وممكن أن تعيش مع أمها

ونحن نهتم بها دخلا وطعاما ولباسا

اقترب خادم منهما من خدم القصر وقال : يا سيد شملان تلفون يرغب بالحديث معك

قام إلى موضع الهاتف حيث كان يجلس مع عواد في مكتبة القصر فقال : ربما من الشركة التي املكها يا عواد .. أنت تعلم انني أدير شركة تجارة في الملابس المستوردة ولي استثمارات أخرى مشاركة مع آخرين .. لم اعمل مثلك على شهادة الهندسة

رفع السماعة وقال : نعم المهندس شملان

ـ نحن الشرطة

ـ الشرطة ماذا حدث ؟

ـ تعرض شقيقك غبشان للقتل مرة أخرى ، ونفضل أن تأتي لشقته حيث وجد مقتولا ، لقد قتل قبل ساعات في بيته مع احدى صديقاته أو عشيقاته كما يقول جيرانه في العمارة

ـ حسنا !لا حول ولا قوة إلا بالله أنا قادم

وأخبر عوادا بموت شقيقه غدرا فقال عواد : سأذهب معك فنحن صرنا عائلة واحدة

***

لما صعدا في سيارة شملان قال عواد : زاد الخطر عليك

قال شملان : ماذا افعل ؟! قل نومي في شقتي صرت أنام في الشركة ، ولفت نظر حارس الشركة إلى الخطر المحيط وطلبت حارسا آخر سيلحق قريبا بالشركة حسب عقد خاص والحامي والحافظ هو الله .. نصحت شقيقي بالكف عن بنات الحانات والملاهي الليلة .. لكنها نقطة ضعف كبيرة عنده .. والشرطي لم يفصح بالكثير عن الحادث .. سنرى ما التفاصيل عندما نصل واشكر وجودك معي يا صديق عواد!

قال مشجعا : هذا واجب عليّ فنحن اليوم أهل

لما وصلا لشقة غبشان التي انتقل إليها بعد مغادرة قصر شلبي الذي عاش فيه منذ وضعته امه حيا وكان خلال سجن والده ؛ كأن القصر ملكه وحده فيقم السهرات والحفلات الصاخبة

والمزعجة لشارع أبو رقبة كله ، ولما تزوجت أختهم تركت القصر واختفت من حياتهم بشكل كبير وشبه كامل ، ولما ماتت الأم ترك شملان القصر ، وقد كان يملك شقة من مال أبيه ، ثم تزوج بعد وفاة امه وابتعد عن غبشان وحفلاته الماجنة ، ولم يفعل كأختيه ؛ بل كان على تواصل مع أخيه ومشاكله مع الناس والشرطة ، كانت سيارات البوليس والتحقيق الجنائي تقف أمام مدخل العمارة المسماة عمارة البلد الخالد وهي عبارة عن عشرة طوابق وكل طابق سكني عبارة عن ثلاث شقق ، عرف شملان نفسه للضباط الذين يقفون أمام العمارة فقال احدهم : أهلا بك أنا الرائد سليم محمد هيا بنا إلى شقة أخيك في الطابق الخامس .

رحب بهم ضابط التحقيق وتعرف على عواد بأنه صهر شملان فوالده المعروف لدوائر الشرطة متزوج من أخته ، نظر شملان وعواد إلى جثة غبشان وعشيقته فوجداه قد قتل بالرصاص على باب الشقة قريب من وسطها فقال الضابط المكلف بالتحقيق : عرفت بعض التفاصيل عن حياة والدك المهرب المعروف لدى دوائر الأمن أين والدك ؟

نظر الشاب في عيني المحقق وقال : والدي مختفي من مثل هذا المصير ، ولا استطيع كشف مكانه ولا اعتقد أن له دخلا في الجريمة ولا اعرف كيف قتل أخي ومن أخبركم ؟

قال الضابط : الجيران سمعوا صراخا خرج من الشقة فاتصلوا بنا ولما جاء قائد الدورية القريبة من الشارع فتح الشقة لما سمع من الحيران ولم تكن الشقة مغلقة وكان الرجل مقتولا في وسط المدخل وكذلك الفتاة وعرفنا من الجيران أن شقيقك غير متزوج ويجلب بنات الهوى للشقة ويزعج الجيران بصوت أجهزة الغناء والسهر ، وتبين أن عليه شكاوي وتعهدات ولم ير الجيران من اطلق عليهما النار ، ولم يسمع احد صوت اطلاق الرصاص بشكل واضح يبدو انهم سمعوا الصراخ بعد خروج القاتل أو القتلة .. هذه المعلومات الأولية عن الحادث .. ثم رأينا رقم تلفون القصر في دفتر الهاتف الحاص بأخيك اتصلنا أولا بشقتك فلم يرد احد فاتصلنا بالقصر فعلمنا انك فيه فطلبنا من الموظف الحديث معك .. الآن هل تستطيع مساعدتنا في معرفة من اطلق النار عليهما ؟

قال شملان : هذه الأنثى لا اعرفها ولا عمري طبعا رأيتها ولا اعرف من أين يأتي أخي بالزبونات .. والأكيد إنها من بنات الحانات والليل .. وثانيا أنا لا اعيش معه أنا لي شقتي الخاصة مثله شقة مملوكة لي .. أما أخي غبشان فشقته مستأجرة حديثا ؛ لأنه كان يعيش في قصر أبيه أثناء سنوات حبسه المعروفة لكم في سجلات البوليس .. وهو قد تعرض للقتل قبل سنة أو اكثر أثناء نزاع في القصر وهو معروف لكم ولم تقبضوا على الجاني . وقص عليهم قصة زواج أبيه مرة أخرى من شقيقة عواد ونقل ملكية القصر لها مقابل العودة لأبيه حيث كان قد حبس عشرين سنة

فقال المقدم : صحيح ! لم نعرف المعتدي .. في البداية اتهم شقيق الزوجة الذي تعرض للأسرة مهددا ومتوعدا لما خرج المهرب شلبي من السجن ، وتبين بُعده تلك الليلة عن القصر والشارع ويومها زعم القتيل أن للرجل عصابة هي التي فعلت ذلك نيابة عنه ، وثبت لدى الأمن انه لا وجود لهذه العصابة .. والراجح أن من فعل ذلك الاعتداء أراد الوالد وظلت القضية معلقة لليوم

انهى فريق التحقيق الجنائي رفع البصمات ورفع الأشياء التي قد تساعد الفريق من معرفة الجناة من أعقاب السجائر مع الترجيح أنها من أعقاب من سهر معه ومع عشيقته وغيرهما ، واخذوا مظاريف الرصاص وزجاجات الشراب وعلبه المعدنية ، وتم التصوير بنوعيه وكان الطبيب الشرعي قد قام بمهمته قبل حضور شملان ، وطلب المحقق نقل الجثة للطب الشرعي للقيام بالتشريح اللازم وأغلقت الشقة وانصرف شملان وعواد كغيرهم واتفق عواد وشملان على ترتيبات الجنازة بعد الأفراج عن الجثة مع شركة دفن .

***

شعر شلبي بالحنق والخطر اكثر لما علم باغتيال ابنه غبشان، واحس بقرب الموت ممن حوله ، وترك شملان يتابع قضية قتل غبشان ، ولم يتضح للشرطة دافع الجريمة رغم كثافة التحقيقات وربطوا بها محاولة الاغتيال السابقة يوم خروج شلبي من السجن بها ، وراجعوا ملف القضية

السابق قبل سنة نزيد قليلا بقراءة أقوال الشهود وأسماء من حضر الحفلة ، وحاولوا معرفة أسماء زوار غبشان بلقاء عدد من بنات الهوى اللواتي سهرن معه ومع رفاقه ، ومع كل هذه التحقيقات والاستجوابات لم يصل المحققون لدوافع الجريمة أو مشتبه به أو بهم ، وجعلوا الدافع صراع رجال عصابات ، وحلال فترة التحقيقات ترك شلبي فكرة الحصول على جنسية مالطية أو بلغارية أو غيرهما من الدول التي تبيع الجنسية مقابل المال أو شراء عقار بمبلغ كبير أو استثمار برأس مال يزيد عن ربع مليون دولار أو اكثر ، فسافر بمساعدة محاميه إميل فاروق بجواز سفر محلي إلى سويسرا والنمسا ، وعمل إجراءات مالية بنقل وتحويل أموال باسم هند وباسم شملان وأضاف بعضها لرصيده المعروف ولرصيد زوجته الميتة بهجت المعتمد قبل حبسه وحمل الكثير في حقيبة خاصة وعاد للوطن وهو يتوقع قتله في أي وقت .

فلما رجع من الرحلة روى لابنه شملان ما فعله وأعطاه الحقيبة ليخفيها في خزانة بنكية باسمه وبعد أيام طلب من شملان أن ينقل زوجته هند للقصر كما يرغبون ، وهمس له بأنه سيختفي في مكان سري خاص به عدة أسابيع لترتيب أموره الخفية ، يوفر له الأمان اكثر من الشقة هذه التي ؛ ربما أصبحت مكشوفة للمتآمرين الذين يشعر بهم ولا يعرفهم ، وزادت شكوكه ببنسلي الشريك القديم والجديد ، وانه تخلى عنه بدون أي دليل ضده ؛ فلذلك ضعف الاتصال به والتشاور معه ؛ وذلك أثار حفيظة بنسلي نحو شريكه ومعلمه وقال لشملان : انتبه لحياتك وانا الآن ؛ ربما أصبحت تحت مرمى النيران وسأختفي حتى لا تبقى تتردد علي ولو خفية ولسوف يتعقبونك لمعرفة مقري السري ـ ولم يكشف له كل شيء لمزيد من الأمان وحذره من التعرض للغدر ـ واذا احتجت إليك سأتصل بك بطريقتي الخاصة .. واحذر من بنسلي فاشعر بأنه باعني ولا تقدم له أي معلومة بخططي ومكاني .. رغم الصداقة والسجن معا ففي هذا الوضع لا يجب للشخص أن يثق مائة بالمائة بكل من حواليه .. منذ خرجت من السجن وأنا لا اطمئن له ، ولم ارد محاربته فورا .. فهو يعرف الكثير من أسرار اللعب والزبائن والموردين .. واشعر أيضا انه خائف مني وقلق .

وحثه على بيع القصر ويضع الأموال في رصيد هند صاحبة القصر ، فالقصر اصبح معروفا للمجرمين وانه تحت المراقبة ، واذا تمكن من العيش بأمان ستعود هند للعيش معه ، وبالنسبة للشقة عليه أن يؤجرها لمدة سنة على الأكثر ، لخداع من يتتبعه ، ولو أجرها كشقة مفروشة يكون ذلك افضل ويحتفظ بأموالها في حسابه ؛ ربما يعود إليها في يوم الأيام ويسهل إخراج المستأجر.

وقال مختتما التعليمات : ستعود بعد أيام فأكون قد خرجت وافعل ما قدمته لك من خطط .. واذا احتجت للقاء بك سأتصل بك عن طريق هاتف شركتك أو أزورك متنكرا في الشركة .. فلتستمر بالنوم في شركتك الخاصة

***

رحلت هند للقصر حسب الخطة ليلا برفقة شملان ، وبعد أيام انتقلت للعبش مع أمها وعرض القصر أو الفيلا للبيع في اكثر من مكتب عقاري ، وفي بعض الصحف ، ولم يطل الانتظار فقد استطاع خليفة الشقيق الثاني لها ببيع القصر لشركة فنادق ليتم تحويله إلى فندق ذي حجم صغير أو بنسيون فقال عواد لشملان : تحدث معي خليفة عن مشتر للقصر

ـ شركة فنادق فقد اتصل بي .. المهم أن يباع والمال لأختك كله فقد اصبح شؤما هذا القصر علينا يا أبا بسام .

وتابع مستفسرا : المهم كم قدره المخمن كما قلت ؟

ـ قدره أبو طه المخمن بنصف مليون دينار محلي .. هند لا يهمها بكم يباع .. هل هذا مناسب ؟

ـ اعتقد انه مناسب لنا في هذه الظروف المؤلمة قل لخليفة أن يتابع الموضوع مع شركة الفنادق القليل من التعديلات يتحول لفندق أو حتى مستشفى

قال عواد : سأخبره بتقدير المخمن ليرى رد فعل الشركة على الرقم

ـ قل لهند أن تصر على هذا الرقم .. فالقصر ربما ثمنه اكثر من ذلك ؛ ولكن لأن بناءه قديم فهو مبلغ مناسب .. فأراضي شارع سيدو عدنان مرتفعة وغالية اليوم يا أبا بسام ؛ ليس مثل قبل

ثلاثين وأربعين سنة

***

طرق فراش مكتب شملان في شركته الكبيرة ؛ حيث تتكون من ثلاثة طوابق لعرض وبيع الملابس الأوروبية الغربية والأمريكية وقال : سيدي امرأة وزوجها يرغبون بالحديث معك

رفع رأسه عما أمامه على المكتب من أوراق نحو الفراش وقال : من هما ؟

قال رسلان : تقول أنها أختك وزوجها

نهض شملان عن كرسي المكتب نحو بابه وهو يردد : أختي ! غريب .. زوجها حضر جنازة غبشان .. فتح الباب وقال : دعهم يدخلون .

تقدم من صالة الانتظار شقيقته لبنى وزوجها رافع ، تقدم رافع معانقا ومسلما ، وفعلت لبنى مثله فقال شملان بعد العناق والترحيب : شاي يا عم رسلان للكرام .

أشار لهما بالجلوس وجلس بالقرب منهما وهو يقول : أهلا لبنى .. لي سنة لم ارك .. كان أبي يرغب برؤيتك لما افرج عنه .. ما أخبارك يا رافع ؟

قالت لبنى : بخير ، وأنا كنت ارغب بزيارته والسلام عليه بعد تلك الحفلة التي لم ترق لي ثم تطورت الأحداث كما اخبرني غبشان وانه تعرض للصيد ثم قتل .. فعجزت عن زيارة القصر أو قل خفت ..

وقال رافع : الحمد لله أنا بخير .. هل من جديد حول مقتل غبشان ؟

ـ لا جديد

دخل الشاي ووزع عليهم وكلهم شكر رسلان ولما اغلق الباب قال : أهلا وسهلا .. هل من شيء ؟وما سبب لهذه الزيارة النادرة كما يبدو منها ؟

ظهر الضحك قليلا وقال رافع : سمعنا أنكم بعتم الفيلا هل حصل للوالد أمر ؟

قالت : لماذا بيعت ؟

قال : حقيقة تم البيع لشركة فنادق محلية

قالت : رافع بحاجة لبعض المال من أبي .. انه يواجه ضعفا في العمل .

قال باسما : المال سبب الزيارة المفاجئة .. لقد رأيتك يوم جنازة غبشان ودهشت

قال متهربا : نحن نخاف من المشاكل والعنف .. ولا تنسى أن أباك كان في السجن

قال : اعلم ولا أعاتبك على قلة الزيارات بيننا .. فأنا مثلك مقل من الزيارات ، ثم التفت للبنى وقال : كم المال لتنشيط عملك ؟

قالت : هل سيقسم أبي مال الفيلا ؟

قال متعجبا من سرعة انتشار خبر بيع الفيلا : مال الفيلا ليس لأبي ولا لي !

قال رافع : لمن مال القصر يا سيدي !

ـ كانت الفيلا يا لبنى مهرا لزوجته هند بنت امليحي .. امرأة تزوجها قديما يا رافع ونحن فتيان ثم لما حبس طلقها ولما خرج من السجن تزوجها وكانت الفيلا مهرا لها .. فالمال لها وحدها وأبي سمح لها ببيع الفيلا

قالت بصوت مبحوح : هند عادت لأبي اني اذكرها وأين أبي اليوم ؟

قال : في مكان مجهول .. بعد اغتيال شقيقنا غبشان لا اعرفه صدقا ذلك .. كم تحتاجون من المال يا لبنى ؟

قالت : كم يمكنك أن تساعدنا ؟

قال : قرض أم منحة

قالت : هبة افضل

قال : خمسة آلاف يكفي

قال رافع : نعمة يا لبنى

قال : حسنا ! هل ترين ملاك ؟

قالت : نادرا ؛ ولكننا نتحدث معا على التلفون اكثر قليلا

فقال : كيف أمورها المالية هي الأخرى ؟

قالت : لم تقل لي شيئا من أمرها وحالها

طرق الفراش الباب وادخل رأسه قائلا : المهندس عمران يرغب باللقاء

قال : دقيقة .. دعي لي رقم حسابك المالي وحساب ملاك وسأضع لكل واحدة عشرة آلاف واحدث أبي بذلك عندما يتصل بي .. فهو الذي يتواصل معي بطرقه الخاصة

نهضت لبنى وقبلت يد شملان وقالت : طول الله عمرك ! كريم ورجل العيلة .. سأرسل لك رافعا برقم حسابي وحساب ملاك اذا قبلت المساعدة

رافقهم لصالة الاستقبال وودعهم وصافح زميله عمران وقاده إلى المكتب

***

زار عواد شملان في مقر الشركة التي أصبحت مقر نوم له بعد اغتيال شقيقه غبشان ، فهي ليست اكثر أمانا من الشقة ، فهي معروفة للناس ؛ ولكن مكاتب الشركة متوفر فيها حارس عام لكل البناية من شركة امن مدنية وحارس خاص للشركة يتغير كل ثمان ساعات ، فالشركة لا تغلق أبوابها إلا بعد دخول الليل وان غادر اكثر موظفيها أماكن عملهم ، فلما جلسا في المكتب قدم رسلان لهما الشاي وبعد حديث قصير عن الصحة والحال قال شملان : لم يعرف قاتل أخي لليوم .. ولا اعتقد أن يعرف .. كيف السيدة هند وأم هند ؟

ـ بخير ونحن بقلق على السيد أتراه ؟

ـ يأتي أحيانا إلى هنا متخفيا ؛ كأنه قادم بعمل للشركة ..وهو يفكر بلقاء هند في بيت خاص حتى أن فكر بالتردد عليها في بيت امك ؛ ولكنه خائف من الانكشاف ويسبب ضررا للحاجة

ـ هو لا يعرف من يطارده

ـ هو لا يعرف بالضبط إنما يشك ببعض من اشتغل معه منهم .. وبعض من ابتعد عنه أثناء عقوبة السجن .. حتى انه يشك بساعده الأيمن بنسلي الذي لا اعرف عنه إلا انه يد أبي اليمين كما يقال .. اليوم الثقة بينهم معدومة يظهر لي ذلك من أقوال وتصرفات أبي

ـ هذا رسول أبيك لزوج أختي السابق بحري .. رسول الطلاق

ـ نعم هو الذي حمل رسالة التهديد لبحري كما أخبرتني تلك الأيام واليوم أبي متوجس منه خيفة فيقول بيننا اخطأ قديمة .. فهو يتهم أبي انه هو الذي سبب له الحبس مرة في فشل صفقة ولما خرج من السجن دافع أبي عن نفسه ، وانه لم يخبر ويبلغ عنه .. وتلاشى الخلاف بينهم أو كمن يا أبا بسام .. فالخطر الداهم سيكون عليه وعليه .. ويقول إنه جند للعمل وجوها غريبة عنهم ويزعم لأبي أن اضطر لذلك بسبب طول سجنه وبسبب وقوع آخرين فأدخل وجوها جديدة للعمل وأبي غير مرتاح لهم لأنه يعتقد أن ولاءهم له اكثر منه

قال عواد : عجيبة حياة رجال العصابات .. الكل يخشى الكل .. وموت غبشان لماذا كان؟

ـ أبي يرى انه انتقام منه .. وفي العادة تحدث نزاعات ربما قاتلة بين أفراد العصابة

قال عواد : جئت إليك في مشاورة

ـ تفضل يا صديقي

ـ أختي هند ترغب باستثمار للمال الذي نتج عن بيع القصر

ـ ماذا ستفعل ؟ أو كيف ستستثمره ؟

قال : تناقشنا بهذه الفكرة معها أنا وخليفة .. ترغب بشراء مجمع شقق أو تقوم بالبناء لاستثماره بالإيجار

قال معجبا بالفكرة الكبيرة : تفكير جيد ، وهي كما تعلم لها رصيد آخر في حساب آخر يعادل حسب كلام أبي ما بيع به القصر ؛ ولكن أبي اشترط عليها ألا تنتفع به إلا بعد وفاته

ـ اعلم ذلك منها .. إذاً لما تقابل الوالد تشاور معه بفكرة استثمار مال القصر

ـ اعتقد أن أبي سيرحب بذلك .. وسنفكر معا بالمناسب الشراء أو البناء

***

مال القصر

قال مفيد لأخته : ماذا ستفعلين بأموال الفيلا ؟ أنا بحاجة لبعض المال .. أين اختفى زوجك ؟ له شهور دون أن نسمع عنه خبرا .. سمعت أنك ستمكثين عند امك شهرين ثلاث

قالت شوهة : يبدو انه خارج البلاد ؛ كما سمع عواد من ابنه شملان .. فهو خائف على حياته ومصيره ؛ فيقال أن مقتل غبشان بسببه والشرطة كما يخبر عواد لليوم لم تصل للجاني

قال : الشرطة تزعم أن عصابة قتلته ، وتخلصت منه ولا تعرف سببا لاغتياله

قالت هند : لعلهم كانوا يرغبون بمال منه ورفض

قال : سمعنا ذلك ..أريد قرضا منك يا هند

قالت امه : وماذا ستفعل في القرض ؟

ـ في رأسي مشروع ؛ لعله ينجح

ضحكت وقالت هند : ما اكثر مشاريعك! .. اذا تزوجت سأساعدك

ـ بعد تلك البنت قررت ألا أتزوج

قالت أمه : لو كانت تحبك كما كنت تقول لنا ما تزوجت غيرك

ـ بدها شاب دارس يا أم عواد ! سمعت أن عوادا في سفر ..كم ستساهمين اذا تزوجت ؟

ـ كل المهر فقط

ـ خلاص اقرضيني المهر للمشروع ، لم يعد لي رغبة في النسوان

قالت : كيف ستسد القرض ؟

ـ سنكون شركاء .. أنت بالمال وأنا بالجهد والعرق .. فشغلي في التعهدات ضعف من فترة

قالت امه : ما هو المشروع الذي دوشتنا فيه منذ قعدنا ؟

ـ مشروع بسيط .. سأشتري محلا يسمى مقهى تباع فيه القهوة والشاي والعصائر الباردة

قالت هند : أين هذا المقهى ؟

ـ تعبت من شغل الورشات والتنقل هنا وهناك .. والمقهى هنا في حيكم هذا .. هناك صديق

يرغب بشريك لشراء مقهى العم زغلول .. لما مات الحاج زغلول أولاده يرغبون ببيعه بكراسيه وطاولته وأدواته وأوانيه ، وصاحب المبنى قبل بتأجيره لصديقي الذي يبحث عن شريك بنفس الأجرة السابقة

قالت امه : شاور إخوانك قبل الغوص مع شريكك.. وكم يحتاج الشريك ؟

ـ خمسة آلاف دينار ، وشجعني خليفة على العمل فيه ، وقال لي احسن من شغلك بالمقاولات الصغيرة والتمديدات الكهربائية والصحية التي لا تفقه فيها شيئا غير التعاقد مع معلمين هذه الصنائع .. هم يكسبون اكثر منك .

قالت هند : عندما يرجع عواد سأقوم بإعطائك القرض وعليك أن تسدده من أرباحك لا ارغب المشاركة فيه

قال : حسن كما تريدين !

***

وفر شملان شقة شعبية لوالده في منطقة شعبية في احد أحياء المدينة ؛ حيث لا يشعر أهل المنطقة بغناه وثروته ، واتفق مع عواد على نقل أخته إليها للعيش فيها ، ولتسكن معهما خادمة أجنبية لا تحسن العربية ، ونقل شملان والده من شركته حيث جاءها متخفيا كالعادة وفي الليل قاده لبيت هند ، وكانت هند هي التي تذهب لشراء الطعام بصحبة الخادمة وهي شبه متخفية ، وكلف شلبي عوادا وشملان بإنشاء مشروع هند بإقامة مجمع سكني في احد أحياء شارع سيدو عدنان وقام الرجلان بشراء عدة مباني متجاورة وهدمها وفي اقل من اربع اشهر بدأت شركة المقاولات من الدرجة الأولى بإقامة مجمع الشقق الذي سيتكون من عشرة طوابق فوق الأرض وأربعة تحت الأرض، وسيدعم شلبي المشروع بشراكة مع زوجته وسيسمى المشروع أو سمي مجمع شقق هند امليحي للإسكان .

قال مفيد لأمه : اصبح اسم امليحي يطلق على مجمع شقق يا أم عواد !

قالت : والله زواجك وإنجابك لأطفال اهم لامليحي من مجمع شقق . . لأنهم سيحملون اسم

امليحي ؛ لكنه مال يجب أن يتحرك يا مفيد .. وللأسف أختك ليس لها أبناء ينتفعون من المال وزوج يعيش مرعوبا من رجاله وغدروا بابنه

ـ هذه الحياة يا أمي .. سعادة وشقاء .. وعيش وموت .. وحب وكره .. وسمعت أن زوجها سيرسلها للندن للعلاج من العقم

ضحكت وقالت : فات الأوان عمرها زاد عن الأربعين

ـ سمعت أن الأنثى قد تلد وهي في الخمسين

ـ من النادر .. أنا يهمني أنت أن تتزوج ونرى ذريتك .. فأموال هند ستؤول لإخوتها بعد موتها انتم الورثة وأولادكم

ـ والله فكرة بس هند صغيرة إلا اذا ..

ـ الأعمار بيد الله يا مفيد

ـ خلاص سأفكر جديا بالموضوع

ـ عندي عروس

ضحك وقال : تكلمي من الأول .. من هي عروسك يا حجة ؟

ـ اذا وعدت بالتفكير جديا سأقولك لك من هي ؟

ـ اعتبريني فكرت جديا .. من أقاربنا

ـ لا ، لا

ـ شغلتي بالي

ـ بنت شلبي

قال متفاجأ : بنت شلبي ! .. أليست بناته متزوجات كما نسمع ؟

قالت : عواد اخبرني أن احدى بنتيه طلقت .. قبل اشهر .. وهب شملان لكل أخت عشرة آلاف دينار .. فقام احد الأزواج بأخذ المال ، وغادر البلاد بحجة الخوف على حياته من خصوم شلبي ووالدها وارسل الطلاق للبنت بواسطة محامي

ـ اخذ المال وهرب .. ومن حدثك عن الزواج منها ؟

قالت : ذكر عواد ذلك ، فهو كما تخبر صديق شملان ويسهران معا ، وسمعت قصة هروب الزوج أيضا من هند .. وأما فكرة الزواج منها فنقلها عواد عن شملان أولا ومن شلبي ثانيا فقال : بما أن شقيقك اعزب لليوم .. فليتزوج أختي لبنى ولن نقصر معه

ـ ما معنى نقصر معه؟

ـ سيعملون لكما أنت وهي مشروعا تعتشان منه

ـ مشروع مثل مشروع هند

ـ لم يحددا اسم ونوع المشروع

ـ لديها أطفال

ـ لديها بنت وولد فقط وكأنها أسقطت عدة مرات قبل التوقف عن الحمل

ـ الزواج بحد ذاته مشروع أيضا .. ألم يتحدثوا عن سيولة في حسابي ؟

ـ هي سترث الكثير حسب تلحين عواد .. الرجل طول عمره يعمل في تلك الملعونة

ـ سأفكر .. ومشروع المقهى لم تكن فوائده كما حلمنا أنا وشريكي رغم تفرغه الكامل للعمل فيه .. قد يكون مشروع الزواج ولبنى افضل .. لديها شقة وبيت أنا كما تعلمين أعيش بالإيجار وقد تهديني هند شقة بمصاهرة زوجها

ـ هند كريمة بس المشروع يحتاج لوقت رغم توفر السيولة يا مفيد

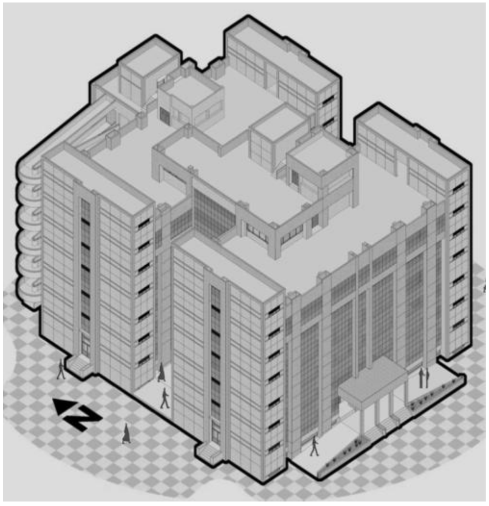
ـ حقيقة كانت فكرة مذهلة ، وعواد نشيط في الاستثمار فهو يوسع المصنع بشكل كبير منذ عهد قريب ..

ـ بنت شلبي أنا عاشرتها وهي صبية صغيرة أيام زيجة أختك الأولى من شلبي ولما تزوجت زوجها الهارب ابتعدت عن أسرة أبيها والقصر إلا بعض الزيارات كان يقوم بها شملان أثناء سجن والده وحياة أمها

كانت خطة شلبي عدم الاستقرار في بيت واحد اكثر من نصف سنة ، وكان يعتمد في تنقلاته

على دعم شملان وعواد ، وقد اصبح شملان شريكا لعواد في تكبير مصنع الأغذية بدعم من شلبي ماديا وقبل عواد الشراكة مع شملان شلبي ، وتجارة المخدرات رغم الهروب المستمر ما زالت قائمة ، وتلقى الرجل إشارة من عواد أن شقيقه مفيدا يفكر بالزواج من ابنته لبنى .

زار شلبي مشروع الشقق اكثر من مرة لينظر الشغل وتقدمه وكان يتابعه بالاتصال مع عواد اكثر من شملان ، وكانت الطوابق الأرضية تحت الأرض قد انتهى العمل بها وهي ستكون مواقف سيارات لسكان العمارة ذات الطوابق العشر ، ولما وافق مفيد على الاقتران بلبنى تعهد شلبي بكتابة شقة باسمه واسم ابنته بدون مقابل هدية زواج ، وطلب منه كتم الأمر حتى ينتهي المشروع ، ورفضت شوهة أن ترحل للعيش في تلك العمارة الكبيرة عندما تنتهي ، وقدمت لها شقة كهدية لاستثمارها والاستفادة من مالها بالإحسان والتصدق



تعجبت شوهة وهي تجلس مع أولادها بعد سفر شلبي لأوروبا لمدة أسابيع وأظهرت عجبها من دورة الحياة فقال عواد : الدنيا دوارة يا أمي ! وأنا افكر كثيرا كيف انقلبت حياتنا مع شلبي إلى صداقة وشراكة ، فها هي هند الجوهرة تصبح اغنى واحدة فينا بسبب هذا الزواج .. وكم شكى بحري من الحياة وغلاء الأسعار لأعطيه بعض المال من اجل عيون هند ؟!.. وكان ينقصنا أن نرى هندا أما .. وربما أسافر بها للندن سعيا في العلاج من العقم يقال أن بريطانيا من الدول المتقدمة في معالجة العقم .. والأمر كله بيد الله سبحانه ولكنها محاولة وقد تكون عن طريق الطفل الصناعي أي أنبوب الاختبار يقال أن هذه التقنية لها نسبة نجاح مقبولة

قال خليفة : لدينا هنا مستشفيات تقوم بها .. وتنجح أحيانا واحيانا كثيرة لا تنجح .. متى

سيتزوج مفيد ؟

ـ قريبا ربما بعد عودة أبيها .. والبنت موافقه بعد مقابلتها لمفيد .. والاتفاق على العيش بشقتها مؤقتا حتى تبدأ هند بتأجير مجمع الشقق فيستقران في شقة مفيد .. وأنا مصنعي انتهت فيه الإنشاءات ، والماكنات الجديدة في الطريق

قالت شوهة : كيف رأيت بنت شلبي المخرب ؟

ضحكوا ، فهكذا كان مفيد يسمي عمه شلبيا فقال : جلسنا مرتين للتعارف .. وكان معي أبونا عواد والمهندس شملان الذي يختلف عن أبيه مليون درجة .. كنت اعجب قديما من علاقته بعواد وكيف يتصادق معه وهو الذي تسبب بقتل أبيه ؟!

قال خليفة : هو لم يقتل أباك يا مفيد احترس من الأن فصاعدا .. الرجل كما علمتنا امك تهاون في علاجه في المشافي ومراكز معالجة الكحول اللعينة ..نحن كنا نظن أن الرجل كان يعطيه أجرته لنقلها مخدرات ، ثم عرفنا أن أبي كان يختلسها حتى ادمن عليها .. وقد تضايقنا لما سمعنا أمنا تقول إن الرجل تزوج هندا عنوة رغم وجود العيلة والحمولة .. ثم تبين أن اتفاقا عقد بين امليحي وشلبي على الزواج منها .. لماذا حصل الاتفاق ؟ لليوم لا نعرف.. هل تعرف شيئا يا عواد ؟

ـ شملان لا يعرف مثلنا بسبب صغر سنه ، وشلبي لم يفصح بذلك أمامي والسؤال اليوم عن هذا غير ذي فائدة مهما تعلل بالجواب .. وأنت يا هند ألم تسمعي جوابا لسؤال خليفة ؟

قالت : لعل بينهما أموالا عجز عن سدداها أبوكم فباعني لشلبي بدون أن يصرح احد بذلك

قال خليفة : هذا ما يخطر بفكرة الزواج .. لقد انتظر الرجل سنتين ثم تكلم عن خطبة هند ووصية امليحي

قال مفيد : الإدمان مشكلة كبيرة للمتعاطي ، ولا تنسوا أن نقل البضاعة المهربة امر متقطع وليس أبي وحده من يعمل معهم .. فاذا حصل نقص فسيضطر للشراء

قال عواد : المهم هل رضيت بالبنت الأم ؟

ـ ليس هناك مشكلة بالأطفال .. وما هما إلا طفلان ؟ والذي ادهشني طلاق الرجل منها بعد أن ذهبت لمكتب شملان من اجل المال للاستثمار وتنشيط شغله في البقالة هو بقال

قالت هند : أنا لا اذكرها إلا وهي طفلة صغيرة .. ذكريات باهتة

عاد يقول : قالت بعد أن تعارفنا قد نحتاج لوقت لنتأقلم يا مفيد أنا لي عمر أعيش معه .. ولا ادري سبب تصرفه الأحمق .. فعليك أن تتحمل بعض الوقت وستراني محبة لك كل الحب والوفاء ، ولا احب أن تراني مضغوطا عليّ للقبول بك

***

كان شملان الشريك يزور مصنع عواد ، وقاما بجولة على المبنى الجديد وماكنات التصنيع الجديدة المستوردة من إيطاليا ، تتضمن عملية تصنيع الأغذية عدة عمليات ، تعمل على تحويل المكونات الخام إلى منتجات غذائية آمنة ومغذية وجذابة للمستهلكين ، تتضمن العملية عادة عدة خطوات ، هي التنظيف والفرز والمعالجة والتعبئة والتوزيع، وكل منها يلعب دورًا حاسمًا في ضمان جودة المنتج النهائي وسلامته .

تصنيع الأغذية هو عملية تحويل المكونات الخام إلى منتجات جاهزة صالحة للاستهلاك البشري وهي عملية معقدة وشديدة التنظيم ، تتضمن مراحل متعددة ، تشمل تحضير المكونات، وخلطها ومزجها، وطهيها، وتبريدها، وتعبئتها، وتخزينها.

تختلف عملية تصنيع الأغذية حسب نوع الأغذية المنتجة نباتية حيوانية أو خليط منهما ، ولكن يجب أن تلتزم جميع عمليات تصنيع الأغذية بمعايير صارمة للسلامة والجودة لضمان أن يكون المنتج النهائي آمنًا وعالي الجودة.

يعتبر بناء وتجهيز المصنع الغذائي أحد الأسس المهمة من أجل القدرة على إدارة نظام سلامة الغذاء في المنشأة ، ويكون عبر مراعاة النقاط التالية:

اختيار موقع مناسب للمنشأة الغذائية ، حيث يكون بعيدا عن مصادر التلوث (نفايات، صرف صحي، صرف صناعي، غبار وأتربة،.. الأبواب محكمة الإغلاق (فتحها فقط عند الحاجة)،

ولا تترك فراغات لدخول الحشرات أو القوارض، والنوافذ مغلقة تماما، أو مجهزة بمناخل مانعة لدخول الحشرات بحال فتحها ، الجدران والأرض يجب أن تكون ملساء، سهلة التنظيف، وخالية من الشقوق والثقوب من اجل سلامة المنتج من الملوثات وغيرها .

طلاء السقف سليم ، أي أنه لا يوجد تساقط للطلاء في مكان الإنتاج وخطوط الإنتاج ، الإنارة متوفرة في جميع أنحاء المنشأة ، واستعمال وسائل الإنارة المحمية ، التهوية الكافية مؤمنة في كافة أنحاء المنشأة الغذائية (استخدام مراوح، شفاطات) ، حماية شبكة الكهرباء (الأشرطة والقطع) بالشكل الصحيح عبر استعمال الأنابيب والعلب المطلوبة.

توفر مغاسل لغسل اليدين بالعدد المطلوب والكافي لكافة الأقسام والعاملين في المنشأة ، تكون مجهزة بصابون سائل مزود بمضاد بكتيري لليدين، ومناشف ورقية

توفر دورات المياه بالعدد والتوزيع المطلوب بالمنشأة ، مع أهمية مراعاة فصلها تماما عن مكان التصنيع (وجود باب عازل، طابق آخر للحمامات ،...) إضافة إلى الحفاظ دائما على نظافتها، قنوات ونقاط الصرف الصحي مزودة بأغطية مغلقة تماما تمنع تسرب الروائح أو دخول الحشرات أو القوارض إلى داخل المنشأة .

الكشف والمتابعة والتقييم الدوري حول فعالية وكفاءة نظام مكافحة الحشرات المعتمد، توثيق كافة العمليات والكشوفات بتقارير مكتوبة وأرشفتها ، تنظيف أنابيب وقنوات الصرف الصحي والصناعي كل فترة (مرة أسبوعيا أو شهريا على سبيل المثال)

أما ممارسات العاملين بالمنشأة الغذائية : فالنظافة الشخصية لكافة العاملين، وتكون من خلال: تقليم الأظافر، ارتداء القفازات عند ملامسة الغذاء بشكل مباشر وتغييرها بشكل دوري. غسل اليدين بالماء والصابون جيدا لمدة لا تقل عن ٣٠ ثانية قبل البدء بتحضير الغذاء.

ارتداء اللباس المخصص للعمل (قميص كم طويل، بنطلون، وحذاء غير كاشف للقدم) بحيث يرتدى هذا اللباس فقط داخل المنشأة ويغسل بشكل يومي.

ارتداء غطاء مخصص لشعر الرأس ، عدم ارتداء المجوهرات أو الثياب التي تحتوي على قطع

معدنية قد تؤدي إلى تلوث الغذاء.

حفظ الأطعمة أو المواد المبردة في البراد ، أي بدرجة حرارة بين ٢ و٥ درجة مئوية (اللحوم الطازجة والمطبوخة، الحليب ومنتجاته، الأصناف الجاهزة للأكل، البيض ومنتجاته،...) حفظ الأطعمة المجمدة في الثلاجة، أي بدرجة حرارة حوالي -١٨ درجة مئوية.

تذويب الأطعمة المجمدة بالشكل الصحيح (من الثلاجة إلى البراد، أو تحت الماء الجاري، أو باستخدام الميكرويف)

تفادي التلوث الانتقالي عبر الفصل بين المأكولات الجاهزة للأكل والمأكولات النيئة أو المواد الخام (الفصل بين الدجاج النيئ والمطبوخ أو بين الخضار المغسولة وخضار السوق مثلا)

إجراء الفحوصات : من المهم وضع برنامج لإجراء الفحوصات المخبرية والسريعة للمواد الأولية، المياه المستخدمة في التصنيع ، بالإضافة إلى المنتجات النهائية المعدة للاستهلاك.

وأخيرا يستحسن نشر وتوثيق بوسترات إرشاديه للعاملين بشأن المحظورات والإجراءات الوقائية الواجب اتباعها أثناء التصنيع ، خصوصا بما يتعلق بنظافة وسلامة التصنيع (كيفية غسل اليدين، الملابس المعتمدة، الممارسات، وخطط الطوارئ).

***

إقامة مصنع غذاء يحتاج لجهد وإدارة نشطة ولم يكن الأمر سهلا على عواد ، لذلك رحب كثيرا بشراكة شملان بتكبير المصنع الغذائي ، وكان يطمح مع الوقت إلى التسويق خارج البلاد ، فقال شملان : لم اكن أتصور أن مصانع صناعة الأغذية تحتاج لكل هذا الجهد والاختبارات والنظافة والصيانة .. اليوم الصناعة علم وإدارة .. أنت درست هندسة زراعية في البداية

قال عواد : نعم أنا مهندس زراعي ، اشتغلت وقتا في احد المصانع وفي مصنع البان ثم عرض عليّ هذا المصنع وبمساعدة بعض أعمامي امتلكته ، واستطعت إعادة قروضهم واصبح المصنع في النهاية ملك العبد الفقير .. والمصنع كما رأيت قديم وبمشاركتك ومساهمتك توسع الآن وأدخلت ماكنات اكثر حداثة وتحتاج لصيانة اقل بسبب حداثتها .. الآلات مثل البشر مع

الوقت تهرم وتكثر الصيانة ، ولدينا فريق صيانة جيد سواء في الكهرباء والصرف الصحي والماكينات

ـ حقيقة أنا معجب بهمتك منذ عرفتك ، وكان يثيرني طموحك الصناعي

ـ اليوم نحن أهل اكثر من الأول .. ها هو العم مفيد عدوكم الأول سيصبح نسيبا لكم

ـ سبحان الله لله في خلقه شؤون يا أبا بسام ! والله ما خطر هذا في وجداننا ! يوم دخلت عليّ لبنى وزوجها رافع بحجة انهم سمعوا ببيع القصر ويرغبون بحصة منه دهشت للغاية .. نحن علاقتنا الاجتماعية بلبنى وملاك وأزواجهما ضعيفة ؛ وكأنهما لما علما أن القصر بيع لمصلحة زوجة أبي فصدما ، فطلبت البنت كم ألف فمنحتها عشرة ولملاك عشرة وأعادها لي أبي قائلا : رغم عقوقهما خذ بدالها لحسابك .. فوالدي الغارق بالمخدرات التي لا يستطيع أن ينفك منها والتجارة فيها .. وضع لي حسابا خاصا بماله ، وفعل مع هند كذلك لا ننتفع به وهو حي .. هي أموال يسحبها من حساباته السرية كما ادركت .. ولكن مع إنشاء مجمع شقق هند سمح لنا بسحب من تلك الحسابات .. وهو في رحلته هذه إلى أوروبا سيحول الكثير منها لحسابينا .. هو كان يفكر بالعقارات من زمان لكن السجن أعاقه عن ذلك ولصغر سننا يا صديقي .. واعتقد انه يملك عشر شقق في أنحاء البلاد كلها يستخدمها كمخازن واختفاء

ـ ألا يستطيع الانفكاك مما تورط فيه ؟

ـ يقول لي صعب ولا يتقاعد من هذا العمل إلا بالموت.. وهو متوقع ذلك سواء بالأمراض التي يعاني منها أو الاغتيال

ـ ولماذا قتل غبشان البعيد عن هذه التجارة والمنظمات ؟

ـ أبي لا يدري إلا اذا كان الانتقام منه .. !

ـ ألا يوجد في حياة غبشان شيئا غامضا ؟

ـ هو كان الأكثر زيارة لأبي في السجن ؛ ربما كل أسبوع لأخذ المزيد من المال وأثمان الصفقات وكان بنسلي لا يقصر معه بأمر من أبي

ـ ما علاقة بنسلي بكم ؟

ـ أنا علاقتي ضعيفة جدا به .. أنا عرفته من مصادفته في زيارة أبي السجين .. وسبب عمق علاقة بنسلي بأبي عملا معا من البداية .. وكانت ابنه بنسلي رباب الزوجة الأولى لغبشان بتوصية واتفاق بين أبي وبنسلي .. ولما اكتشف غبشان خيانتها له طلب أبي منه أن يطلقها وانكر بنسلي قصة الخيانة الزوجية .. ولكن البنت اعترفت بها له وانها تكره غبشان ؛ لأنه هو يخونها واعترف هو بذلك .. فطلقت وتزوجها عشيقها الذي تعرفت عليه في احد النوادي الرياضية حيث كانت تمارس الرياضة في النادي .. وفترت العلاقة بين أبي وبنسلي بسبب ذلك ، ثم عادت إلى قوتها بسبب نشاطهم الإجرامي وبسبب اقتراب خروج شلبي من سجن الحكومة .. أبي قضى فترة أطول في السجن من بنسلي .. أبي له شبكة من العملاء سواء في الاستيراد أو التوزيع .. فيقول لابد من الحذر مع كل الأعوان ، الطمع والجشع يوجد في كل الناس والمال يفتل الرؤوس

ـ حتى هذا يا شملان نلمسه في المصانع .. وبعض المهندسين يترك العمل لإنشاء مصلحة خاصة به بعد معرفة وفهم أسرار العمل والمهنة كما يقال .. فلا تستطيع إغراءهم دائما بمزيد من المال فيعملون في مصانع أخرى أو ينشؤون مصانعهم الخاصة .. وهذا حق لكل طموح ومتمكن

ـ صحيح هناك ناس لا تقنع بما تملك ألم تقرأ قول قيس :

طَمِعتُ بِلَيلى أَن تَريعَ وَإِنَّما *** تُقَطِّعُ أَعناقَ الرِجالِ المَطامِعُ

قال عواد : وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع .. ما معنى تريع؟

ـ كل من يسمع المقطع الأول يستفهم عن هذه الكلمة .. أنا احب الشعر القديم والحديث .. كلمة تريع أي تعود وترجع .. وهاك بيتا آخر

أو حمار السوء إن أَشبعته ***رمح الناس وإن جاع نهق

ومعنى رمح الناس لما شبع اصبح وقحا ويسيء للآخرين

قال عواد : والمثل الشهير الطمع ضر وما نفع ، وقولهم لما شبع تطح ؛ لذلك هناك من يفرق بين الطمع والطموح

كانت عائلة امليحي ضحية المخدرات تنتظر عودة شلبي من رحلة أوروبا ليكمل ويتمم زواج مفيد من ابنته لبنى المطلقة ، مضى شهر على الغياب فكانت هند تسأل عوادا صديق شملان :

ما الأخبار يا أبا بسام ؟ الأمر مقلق .. ما سبب التأخير ؟

قالت شوهة : فعلا يا أبا بسام .. حتى مفيد مستعجل على الزواج .

قال عواد : لا معلومات عند شملان ولا اتصال بينهم منذ غادر البلاد .. غسيل أموال المخدرات عملية ليست سهلة

قالت أمه : هي الأموال تغسل كيف ؟

قال خليفة مازحا : توضع في حوض ماء وتحمم ثم تجفف يا أمي .. كما نغسل الملابس

قالت : يا ولد تضحك علي .. أنا درست المرحلة الإعدادية كلها !.. وسمعت بغسيل الأموال من أيام المرحوم امليحي

قالت هند : اليوم نسمع بغسيل المال وغسيل المخ .. غسيل الأفكار

قال عواد موضحا : غسيل أموال يعني مال خبيث محرم بنظر القانون المحلي والدولي .. وليس بالنظر شرعي ويستطيع مالكه بتحويله إلى مشروع حسب القانون المحلي والدولي

قال خليفة مضيفا : يعتبر غسل أو تبييض الأموال جريمة اقتصادية تهدف إلى إضفاء شرعية قانونية على أموال محرمة كما قال عواد بنظر القانون الدولي ، لغرض حيازتها أو التصرف فيها أو إدارتها أو حفظها أو استبدالها أو إيداعها أو استثمارها أو تحويلها أو نقلها أو التلاعب في قيمتها إذا كانت متحصلة من جرائم شيطانية مثل زراعة وتصنيع النباتات المخدرة أو الجواهر والمواد المخدرة وجلبها وتصديرها والاتجار فيها .. فهذه العمليات تعتبر غسل الأموال .. وليست القضية سهلة .. وغسل الأموال منتشر في اغلب بلدان العالم .. فكل تاجر مخدرات يقوم بفعل ذلك

قال عواد : عملية التحويل ليست سهلة يا هند .. فقصر شلبي نشأ من عمليات غسل أموال لأن العقارات الكبرى من افضل الوسائل التي تساعد على الغسيل وتبييض المال المحرم

والإيداع للمال هي مرحلةٌ أولى لتوظيف أو إحلال المال المحرم قانونا ، بحيث يتم التخلصُ من كمية كبيرة من النقود غير الشرعية (الأموال القذرة) بأساليبَ مختلفةٍ إما بإيداعها في أحد المصارف أو المؤسسات المالية أو عن طريق تحويل هذه النقود إلى عملات أجنبية ، وعقارات مرتفعةِ الثمن يسهل بيعها والتصرف فيها بعد ذلك.. وتعد مرحلةُ الإيداع هذه أصعبَ مرحلة بالنسبة إلى القائمين بعملية غسل الأموال؛ حيث إنها مازالت عرضةً لاكتشافها.
قال خليفة متابعا للعملية الإبداعية : خاصة أنها تتضمن في العادة كمياتٍ كبيرةً جداً من الأموال السائلة ، حيث إن التعرف على من قام بعملية الإيداع لهذه الأموال ليس بالأمر العسير ومن ثم علاقته بمصدر هذه الأموال.

قال عواد مضيفا لامه واخته : وهناك مرحلة التمويه للإيداعات حيث تبدأ بعد دخول الأموال في النظام المصرفي الشرعي، ويقوم غاسل الأموال باتخاذ الخطوة التالية والتي تتمثل في الفصل أو التفريق بين الأموال المراد غسلها عن مصدرها غير الشرعي عن طريق مجموعة معقدة من العمليات المصرفية والتي تتخذ نمط العمليات المصرفية المشروعة، والهدف من هذه المراحل جعل تتبع مصدر تلك الأموال غير المشروعة أمراً صعباً.. وتتلخص أهم تلك الوسائل في تكرار عملية تحويل تلك الأموال من بنك إلى آخر، والتحويل الإلكتروني للأموال، ويزيد من حالة التعقيد في تتبع تلك الأموال تحويلها إلى مصارف تتبنى قواعد صارمة من سرية الإيداعات في بلاد أخرى كما في سويسرا والنمسا وبنوك الكاريبي ، وهي ما يطلق عليها بالملاذات المصرفية الآمنة، وتتسم هذه الملاذات بتساهل قوانينها، وجودة وسائل النقل من طائرات وسفن وسهولة تأسيس الشركات.

قال خليفة : وبعد هذه المراحل تكون المرحلة الأهم لغاسل المال يسميها البعض مرحلة الإدماج ومن خلال هذه المرحلة يتم دمج الأموال المغسولة في الدورة الاقتصادية والنظام المصرفي، لكي تبدو وكأنها عوائد أو مكتسبات طبيعية لصفقات تجارية، مثل الشركات الوهمية والقروض المصطنعة، وتواطؤ البنوك الأجنبية، وكذلك الفواتير الوهمية في مجال الاستيراد والتصدي،

وعند الوصول لهذه المرحلة يكون من الصعب جداً التمييز بين تلك الأموال غير المشروعة والأموال المشروعة إلا من خلال أعمال البحث السرى وزرع المخبريين بين عصابات غسل الأموال.

قال عواد : حينئذ تصبح الأموال شرعية في نظر القانون المحلي والدولي

قالت شوهة : وهكذا يعيش شلبي .. هل يجوز الاستفادة من أموال الحرام يا عواد ؟

قال عواد : المال الحرام يبقى حرام .. كسب الحرام يكون مثلا من الدعارة من الربا من الرشوة ومن السرقة وبيع الخمر وصناعته .. وكثير من يكسب هذا المال لا يفرق بين حلال أو حرام ولا يهمه ذلك ..لكن كما يقول الشيخ بهنس بحديث بيني وبينه الكسب الحرام تراه مشروعا بالقانون فالقانون المحلي يبيح تجارة الخمور صناعة استيراد تصدير شرب وكذلك الدخان رغم اختلاف الفتوى فيه وفوائد البنوك الربوية والرقص والغناء واليانصيب فهذه وغيرها أعمال يسمح بها قانون البلاد العربية والإسلامية .. وكثير من الناس للأسف لا يهمهم الحلال من الحرام وقال لي أيضا : فالأصل عندما يتوب شخص عليه أن يتخلص من الكسب الخبيث فقال العلماء القدماء ومن تبعهم من المعاصرين أن يتخلص منه بصرفه على منافع المسلمين مثل المدارس الشوارع واذا تمكن من أعادته لمن أخذه منه فليعده .. وهذا اليوم صعب مال الربا لمن يعيده ؟! فترخص العلماء بوضعه في منافع عامة .. وقال أيضا اذا كان المال مختلطا بين حلال وبين حرام يجتهد التائب بالخلاص من الجزء الحرام .. فالأمر ليس هينا ولا سهلا فهل يجوز ترك فوائد العصاة من المسلمين وحتى الدول التي تستثمر وتحتفظ بأموالها ببنوك الكفرة .. فبعضهم سمح بعدم ترك أرباحها للكفار والعمل بها في منافع المسلمين .. والمال الخبيث اذا تصدق به لا يقبل ؛ لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا .. وكثير من الأثرياء يموتون على فسقهم ومعاصيهم ولا يسهل التخلص منها من قبل الورثة وذكر الشيخ أقوالا شرقا وغربا يقول ابن رشد في فتاواه (عالم وفقيه مسلم) : (ولا يرثه أي المال الحرام عنه ورثته ولا تجوز فيه وصاياه؛ لأن التبعات هي أحق بماله من ورثته، ومن أهل وصاياه ؛لأنها ديون عليه ولا ميراث لأحد إلا

بعد سداد الدين).

وقول الإمام النووي: (من ورث مالا ولم يعلم من أين كسبه مورثه أمن حلال أم من حرام فهو حلال، فإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج قدر الحرام بالاجتهاد).

وذهب نفر قليل من أهل العلم إلى أن الموت يحل للورثة المال الحرام الذي جمعه منه أبوهم ، وينتقل إليهم ميراثا، والوزر على مورثهم ، وهذا قول مردود عند بعضهم والراجح خلافه

وختم المحاورة بصعوبة البت بالقضية وعبر لي عن عجزه بحسم المسألة فقال امرأة وأولاد أطفال تعلم أن كسب زوجها من تجارة خبيثة محرمة ماذا تفعل تطلب الطلاق من أين تصرف ؟

قال خليفة : الأمر في الشركات المساهمة صعب وأضيف إلى أقوال الشيخ بهنس وحيرته وقد قرأته عن الشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين اشهر من يفتي في زماننا هذا

سئل الأول : ما حكم أخذ الورثة للمال الحرام من مورثهم؟ السائل : ... رجل كان عنده مال وواضعه في البنك وبيأخذ عليه ربا وتوفي ؛ فهل يحلُّ لورثته أكل هذا المال ؟ الشيخ : نعم هو لهم غنم وعلى المتوفى غرم .

وسئل الثاني : تملك المال الحرام لكسبه بطريق الإرث مباح فأجاب : إذا ورث إنسان مالاً من شخص وكان يعلم أن جزءا من هذا المال مثلاً عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أنه ربا صريح محرم والباقي لا يعلم عنه أو مختلط فماذا يفعل بالربا الصريح المحرم؟ لا بأس به هو حل له لأنه ملكه بطريق مباح وهو إرث إلا إذا علمت أن هذا مال فلان وأن الميت غصبه فحينئذٍ لا يحل لك وأما إذا كان محرماً لكسبه كالربا وما أشبه ذلك فهذا لا بأس به.

وقرأت في المسألة أيضا : هل يحل هذا المال لغير الكاسب ، كمن انتقل إليه بوجه مباح، كالهبة أو الإرث أو النفقة؟ أم لا يحل؟ وقد اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

الأول: أنه لا يحل للكاسب ولا لغيره. وهذا هو قول الجمهور، من الحنفية والشافعية والحنابلة، والثاني: أنه يحل لغير الكاسب ، إذا انتقل إليه بوجه مباح ، كالإرث ، والهبة ، نحو ذلك.

وهذا هو المعتمد عند المالكية، وقول بعض الحنفية، والحسن البصري، والزهري.

قال عواد لشملان حيث عقدت جلسة إدارية في مصنع عواد للأغذية فبعد الجلسة في قاعة الاجتماع مع رؤساء الأقسام ومناقشة خطة العمل الحديثة جلسا في المكتب الخاص بهما كمالكي الشركة : كيف ترى الأمور ؟ كما رأيت وحسب التقارير

ـ جيدة بفضل الله وبجهودكم! .. أنت طاقة جبارة في العمل والإنتاج

ـ هند تسأل عن أبيك لماذا تأخر ؟

قال شملان : مرات يغيب بالأشهر يا أبا بسام العزيز .. افكر بالزواج .. ألزوجتك شقيقات عزباوات ؟

قال عواد : عمي له بنتان فحسب ..أنا تزوجت الكبرى والأخرى متزوجة .. لزوجة خليفة شقيقات على مقاعد الدراسة الجامعية وفي سن الزواج

ـ أترى الدكتور محمد والد منيرة يقبل بي وهو يعلم ابن من أنا ؟ المجتمع الشرقي الأبناء يتأثرون بأعمال الآباء والأمهات والأخوات والأخوة ما زال نظام الأسرة مسيطرا

قال عواد : سأجس نبض خليفة في اقرب لقاء وفرصة .. زوجة خليفة محترمة وجيدة ، ووالدها مثقف .. ولا تزر وازرة وزر أخرى

ـ النساء حظ .. لقد استفدتم من زواج هند من أبي من جديد وسقطت العداوة بيننا .. المهم أن بنسلي هذا الرجل يقول الوالد بخير وما زال خارج البلد سمعت أن شقيقك مفيدا فتح قهوة في حي الزيتونة حيث تقطن امك

قال عواد : حدث الأمر بعد بيع قصر أبيك .. استلف مالا من هند وشارك احدهم رأينا أن ذلك احسن له فعمله السابق ضعيف .. واذا تزوج لبنى سيتحسن وضعه المالي

ـ لماذا لم يتزوج أخوك لليوم أصلا ؟

ضحك عواد وأجاب : أنت تزوجت وماتت زوجتك ولم تكرر .. مفيد اصغرنا كما تعلم وصل الثانوية العامة ولم يتابع واشتغل مع بعض أقارب أمي في التمديدات الصحية والكهربائية والإنشاء البسيط كبناء شقة شعبية ثم استقل عنهم بالعمل وحده فكان خالي يؤمن له المشاريع

الصغيرة أو ضمن مجموعات أخرى ، وأما الزواج فقد رغب بفتاة من بنات أخواله واعجب بها كما يقال ومال إليها ولكنها لما علمت انه غير متعلم تزوجت أول طالب فتعقد منها ومن خاله والدها ، وهجر الزواج لليوم رغم أن هندا تطوعت بدفع مهر عروسه اذا تزوج فرفض واخذ المهر قرضا ليعمل مع صديق له في المقهى وعسى أن يفلح

***



غربة المهرب

أثناء عملية إلقاء القبض على مهربين في احد جبال البلاد عثر على جثة بنسلي المهرب المعروف لدى دوائر الشرطة والمكافحة ، واتهم بعض الذين قبض عليهم مفيد أمليحي هو الذي قتل بنسلي مما أثار دهشة الشرطة ومكافحة التهريب ، لم يسجل على مفيد أي قضية لها علاقة بالمخدرات والقتل ، قضاياه كانت قضابا مشاجرات وطعن سكاكين ويحبس فترة قصيرة ويخرج بعد الصلح ، وآخر تهمة وجهت اليه إزعاج شلبي في قصره يوم خرج من الحبس ، ولم يعترف احد بقتله وحبس مفيد على ذمة التحقيق بضع ساعات ، ثم اطلق صراحه ووضع تحت المراقبة حتى يكشف قاتل بنسلي .

وقال قائد التحقيق لشملان : أي علاقة بين غبشان وبنسلي ؟

قال شملان : علاقة قديمة عندما كان أبي مسجونا لديكم ، كان غبشان متزوجا من ابنة بنسلي ثم طلقها بعد سنة أو اكثر من الزواج . وتزوج غيرها ثم فشل الزواج الثاني

ـ ولماذا انفصلا عن بعضهما ؟

ـ الخيانة الزوجية لكليهما ، هي عشقت رجلا آخر ، وهو كانت له علاقات قبيحة مع بنات الهوى كما هلكت معه واحدة ساعة اغتياله .. وأقول بصراحة ويعتقد أبي صراحة أن لصديقه بنسلي يدا بقتل غبشان .

ـ أنا قرأت ملف جريمة غبشان ولم يتهم احد .. القضية معلقة .. والدك ما زال في أوروبا

ـ نعم لم يعد له اكثر من ثلاثة اشهر .. ولا اتصال بيننا

ـ أيمكن لطول غيابه علاقة بمقتل شريكه بنسلي ؟

ـ لا ادري ! لما شببنا أنا وغبشان كان والدي يتحكم في عصابته من داخل السجن بواسطة مساعديه احدهم بنسلي

ـ على كل حال ما زال التحقيق والاستنطاق مع من قبض عليهم في الجبل .

ـ أتمنى لكم التوفيق والنجاح

كان عواد ينتظر خروج شملان وهو مندهش من اتهام شقيقه باغتيال بنسلي الذي ليس بينه وبين مفيد أي عداوة فقال عواد وهم يركبون سيارة عواد : ما القصة الغامضة ؟ وما دخل مفيد في قضية مقتل مجرم في الجبل ؟

ـ القضية كما أخبرتني الشرطة أن احد المقبوض عليهم أحياء أثناء مداهمة الجبل حيث يختفي الملاعين اتهم مفيدا بقتله ، واعتقد أن هناك مفيدا آخر لأن الرجل اتهم اسم مفيد ولا يذكر اسم والد مفيد وسيتبين الحق قريبا .. أين مفيد ؟

ـ انزعج والمحامي الخاص بشركتنا يتابع القضية ، وربما كما قلت أن احد القتلة اسمه مفيد والشرطة لا تعرف ألا مفيدا ابن امليحي

***

قال خليفة معزيا : رحم الله الوالد يا سيد شملان

قال : بارك الله فيك صرت اخشى على نفسي فقد غدروا بغبشان ولم يعرف المجرم .. وغدروا ببنسلي واتهموا مفيدا الذي ليس له معرفة برجال شلبي وأعوانه وأصحابه ؛ وليس له علاقة بتجارة المخدرات ، والشرطة حسب ما قيل تتهم الرجال الذين كان يعيش بينهم

قال عواد : لابد انهم يعرفون من غدر به .. وكيف مات الوالد وفي قلب أوروبا ؟

قال : حياة كانت كالجحيم أيها الأخوة الكرام لكنه أبونا .. سأسعى للهجرة عدد سنوات فأنا اخشى على حياتي سأرحل لأمريكا .. فأبي لم يقتل كما نشر بداية .. مات بسبب المرض الغامض كما اخبرني محاميه الذي رحل اليه في ألمانيا

قال عواد : إذن الخبر نشر مغلوطا أو قصدوا أن المرض قتله .. الهجرة حل مناسب فهؤلاء الناس لا يرحمون الشريك ولا أبنائه ، لنا قريب في الشرطة ذو رتبة محترمة يقول لليوم لا يعرف قاتل غبشان حتى الفتاة التي قتلت معه لم تكن من بنات البلاد بنت هاربة من بلد آخر وتعمل في الدعارة ، حتى الملهى الذي التقطها منه لا يعرف عنها سوى اسمها وهويتها وهذا الذي يهم مديره اقصد مدير الملهى

قال خليفة : ولماذا يهتم ببلدها وأهلها ، ما هم أصحاب الملاهي يعتبرون مثل هذه الأعمال الوضيعة شغلا ومالا وبزنس

قال شملان : صح سأبيع شقة أبي المؤجرة ونقسم ميراثه فلديه رصيد كبير في عدد من البنوك وأوزعه قبل السفر والهجرة والحامي هو الله ؛ لعلي ارتاح من الرعب في الهجرة فصديق لي سيساعدني في الهجرة وتحصيل تأشيرة سفر .

قال خليفة : السفر والهجرة قد لا تكون الحل يا سيد شملان ... ألا تفاصيل لموته ؟

قال بحزن : قال لي محامي أبي لقد نشط المرض الذي كان يعاني منه .. كان يعاني من علل في القلب والأعصاب كما بين التشريح هناك ..

قال عواد : ما هو هذا المرض الغامض يا صديقي ؟

ـ يقال له متلازمة غيلان

***

يشعر ثُلث مرضى متلازمة غيلان–باريه بألم عصبي يمكن تسكينه بالأدوية، هي اضطراب نادر يؤثر في الغالب على الأعصاب في جميع أنحاء الجسم ، يحدث بسبب مهاجمة الجهاز المناعي أجزاء من الجهاز العصبي، عادة ما تكون الأعراض الأولى ضعفًا، ووخزًا وخدرًا في الأطراف. ما زال السبب الدقيق للمتلازمة غير معروف، توجد علاجات تقلل من شدة المرض وتخفف الأعراض.متلازمة غيلان باريه حالة يهاجم فيه الجهاز المناعي للجسم الأعصاب، ويمكن أن تسبب ضعفًا أو خدرًا أو شللاً، لا يوجد علاج معروف لها ، توجد عدة خيارات علاجية يمكنها تخفيف الأعراض والمساعدة على التعافي، أغلب المرضى يتعافون تمامًا من متلازمة غيلان–باريه، لكن بعض الحالات الشديدة منها قد تسبب الوفاة ، قد يستغرق التعافي عدة سنوات، إلا أن معظم الأشخاص يمكنهم السير مرة أخرى خلال ستة أشهر من بدء ظهور الأعراض ، وربما يواجه بعض المرضى آثارًا مستمرة، مثل الضعف أو الشعور بالخدَر أو الإرهاق.

فتسبب سرعة ضربات القلب. انخفاض ضغط الدم أو ارتفاعه. صعوبة في التنفس. قد تصيب كل الفئات العمرية، لكن احتمالية الإصابة بها تزداد مع التقدم في العمر ، وتكون شائعة بين الذكور على نحو أكثر قليلاً من الإناث ، من الآثار الجانبية الشائعة لمتلازمة غيان-باريه تقلبات ضغط الدم وعدم انتظام نظم القلب.

***

قال شملان : لم يمت منها ؛ لكنها كانت سببا لظهور أمراض قلبية .. وادت إلى الوفاة

قال خليفة : ولماذا تأخرت عودته ؟سمعنا انه ذهب لأسبوعين زمان

قال شملان : يبدو انه عرض نفسه على الأطباء أو أصابته أزمة صحية ؛ وكذلك تغلب في سحب الأموال من البنوك وقد علمت من المحامي أنها تزيد عن مليوني دولار غير الذي حوله سابقا لي ولهند .. فأنا فعلا افكر بالهرب

قال خليفة : لا تعجل ، أنا همس لي عواد من فترة برغبتك بالزواج من بنات عمي وقد وافق من حيث المبدأ واجل الخوض في الحديث ريثما يرجع الوالد ، وها هو لم يرجع ..هل دفن هناك؟

قال : قام المحامي بمساعدة جمعيات تهتم بدفن المغتربين بفعل ذلك ، واحضر صورا عن التقرير الطبي لموته وتحقيق الشرطة .. وسأقيم له بيت للعزاء مساء الغد في صالة جمعية الإنسان العربي

***

وبالعزاء تنتهي قصة المهرب شلبي إسماعيل بتعرضه لنشاط المرض العصبي في حانة المانية إلى مضاعفات قلبية وقام محاميه اميل فاروق من شركة محاماة بطلب منه أثناء وجوده في المستشفى باللقاء وسمع لآخر وصاياه قبل رحلة البرزخ ، فلذلك لما انتهى العزاء اتصل بشملان ولما التقيا بمكتب خاص بشركة المحاماة قال له : هذا حال الدنيا يا مهندس شملان استمعت لوصايا أبيك الأخيرة ، وسوف أتمكن من نقل أمواله في بنوك سويسرا وفينا بناء على وكالة دولية كتبناها في المستشفى وبشهود من الأطباء ولما انته من نقلها ستوضع مناصفة بينك وبين زوجته هند فقط .. وسأدفع منها أتعاب شركتنا ومائة ألف لكل أخت من أخواتك واذا تم زواج

مفيد من لبنى سيكون له مائة الف مثل أختيك ، هذا كلام أبيك ووهب لإخوته عشرات آلاف لكل شخص حي منهم ، والمجمع السكني سيكون كله ملك هند سوى ما سيأتيها من أموال فهو لا ينسى لحظات السعادة والحياة التي عاشها معها بعد زواجه منها ثانية وما في رصيدك يبقى لك وما في رصيد هند يبقى لها

ـ لم يقسم حسب الشرع ؟

ـ الرجل لم يؤمن بشرع يا شملان .. والمال كما يعلم الجميع بسبب عمله غير المشروع .. ورصيد غبشان سيقسم بينكم حسب الشرع وحصة السبع توزع بينكم واذا طالب بها تتنازلون عنها فهو مجهول العنوان وحتى ملاك لا تعرف في أي بلد يعيش .. فقد كلمتها بالهاتف .

***

إذن انتهت القصة ، ولكن نضيف أن شملان تزوج من الدكتورة البشرية مايا محمد شقيقة منيرة زوجة خليفة ، ونسي موضوع السفر والهجرة ، ومفيد اكمل زواجه من لبنى وامتلك مائة الف بسبب هذا الزواج ، وأصبحت هند امليحي توصف بالمليونيرة في شارع سيدو عدنان ، ولما كمل المجمع إعمارا طلبت من عواد وشملان المشرفين على المجمع السكني وأموالها بإنشاء جمعية للإحسان والصدقات ، واعتكفت عن فكرة الزواج ، وترأست إدارة الجمعية الخيرية للإحسان ، وأخذت تهتم بالفقراء في أنحاء المدينة ، وقبل الوداع إلى حكاية أخرى من قصص شارع سيدو عدنان أبلغت الشرطة شعلان أن قاتل شقيقه غبشان احد أعوان بنسلي انتقاما من شلبي إسماعيل لصراع خفي طويل بينهما ، وأن الذي قتل بنسلي هو نفسه قاتل غبشان ؛ لأنه لم يدفع الثمن المتفق لقتله غبشان ؛ بل أخذ يبتزه بكشف أمره للشرطة فضاق بالتهديد والوعيد فتخلص منه ثم اعترف للقضاء بجريمتيه

قال شملان : لعلي ارتاح بعد سنوات من الرعب والنوم خائفا ..

قال عواد : إن شاء الله

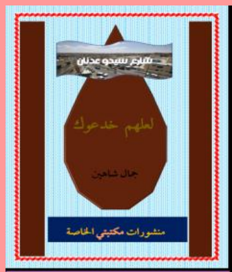
تمت قصة مهرب شارع أبو رقبة والحمد لله رب العالمين

المحتويات


{هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك



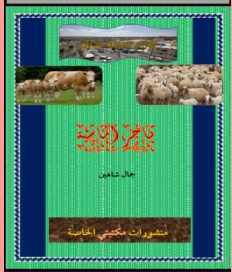
٢
غربة مهرب



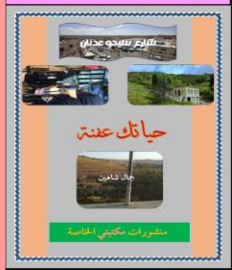
٣
زوجتك ابنتي



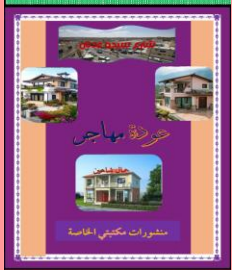
٤
تاجر الماشية



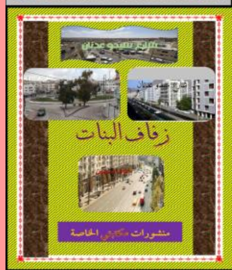
٥
حياتك عفنة



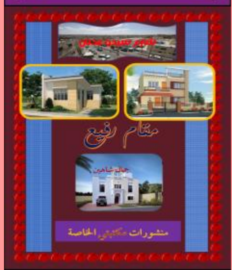
٦
عودة مهاجر



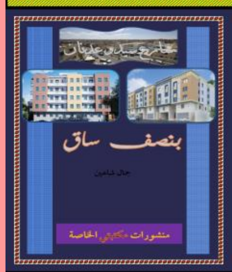
٧
زفاف البنات



٨
مقام رفيع



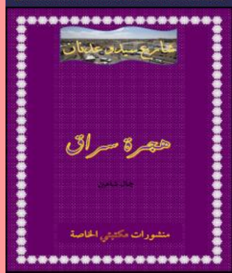
٩
بنصف ساق



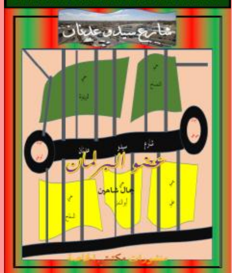
١٠
ميراث البحار



١١
هجرة سراق



١٢
عضو البرلمان



شارع سيدو عدنان

٢

مهنتي تهريب وتجارة المخدرات ، شيدت قصرا كبيرا في حي الزيتونة وتزوجت فتاة من فتيات الحي ، ولما حكم عليّ بالحبس عشرين سنة طلقتها عطفا عليها ، وحين انتهت المحكومية أجبرت زوجها على طلاقها وتزوجتها من جديد ، وجعلت القصر



مهرا لها وباعته وأنشأت مجمعا كبيرا من الشقق للبيع والتأجير ، ووضعت في حسابها ملايين الدولارات أثناء علاجي في أوروبا وها أنا أموت بعد شقاء الحياة .. وأتمنى لزوجتي الحية السعادة والخير ... شلبي إسماعيل

٢٠٢٥